وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945

- قالمة-



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

التخصص: تاريخ وسيط

بعنوان:

نظم أوروبا في العصور الوسطى " النظام الإقطاعي "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

من إعداد الطالبة:

* عبير بركاني

تحت إشراف الأستاذة:

* الدكتور كمال بن مارس

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
د. مسعود خالدي	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945
د. كمال بن مارس	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945
د. عبد الجليل قريان	أستاذ محاضر ب	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945

السنة الجامعية 1437 هـ / 1438 هـ - 2016م / 2017م

شكر وتقدير

لا يسعنا بعد الانتهاء من اعداد هذا البحث إلا أن أتقدم بجزيل الشكر

وعظيم الامتنان الى أستاذي الفاضل

الدكتور كمال بن مارس

الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث. حيث قدم لي كل النصح والارشاد

طيلة فترة الاعداد فله مني كل الشكر و التقدير.

اهداء

أهدي ثمرة جهدي الى من أعزهما الله بقوله : "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه و بالوالدين إحسانا".

الى من أرضعتني الحب و الحنان و بلسم الشفاء الى العظيمة أمي " زوليخة"

الى من وهبني الله حبه دفئه و حنانه أبي الحبيب "نجيب" رحمة الله عليه

الى كل أم تمنت فلذة كبدها أن تصل الى ما عليه أنا الان.

الى رفيقة دربي وأختي "حنان"

الى واضعي البسمة في قلبي اخواني "حسام و كريم"




المختصرات




قائمة المختصرات باللغة العربية	
الرمز	**دلالته**
تر	ترجمة
تح	تحقيق
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
تق	تقديم
م	ميلادي
هـ	هجري
ق. م	قبل الميلاد
د د ن	دون دار النشر
دت	دون تاريخ
مراجع	مراجعة
تع	تعريب
ع	العدد
ا	حد فاصل

خطة البحث

مقدمة

الفصل التمهيدي: النظام الإقطاعي خصائصه و طبيعته

1- تعريف النظام اللاإقطاعي.

2- أسباب ظهور و نشأة النظام الاقطاعي.

3- طبيعة وخصائص النظام.

الفصل الأول: أسس النظام الإقطاعي

1- مراحل نطور النظام الاقطاعي من القرن التاسع الميلادي الى القرن الحادي عشر.

2- أنظمة و اجراءات الاقطاع.

3- اركان النظام الإقطاعي.

الفصل الثاني: النظام الإقطاعي في المجتمع الأوروبي و بلاد الشام.

1- المجتمع الأوروبي في ظل النظام الإقطاعي.

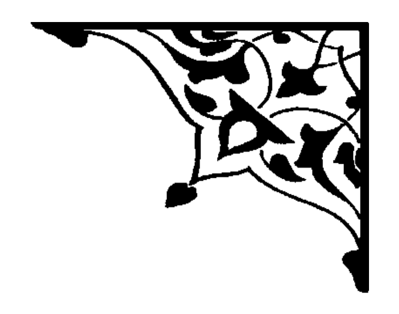
2- الإقطاع الصليبي في الشام.

3- اضمحلال و سقوط النظام.

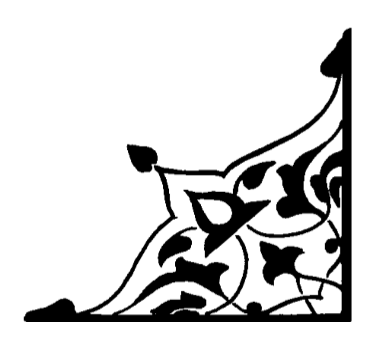
خاتمة

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة

مقدمة

يعتبر التاريخ الأوروبي من أهم المحطات التاريخية التي عايشتها المجتمعات بتنوع عصوره، و ان فترة العصور الوسطى الأوروبية هي أهم الفترات التاريخية في حياة هذا المجتمع الاوروبي، و الذي امتاز بتغييرات جذرية عن العصور السابقة في مختلف اتجاهات سياسية كانت أو اقتصادية و حتى جينية.

قد أطلق المؤرخون اصطلاح العصور الوسطى على الفترة ما بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في يد الجرمان البرابرة عام 476م. اذ يعتبر هذا الحدث هو الانطلاق الرسمي للعصور الوسطى، كما يمثل سقوط القسطنطينية عام 1493م على يد الأتراك العثمانيين نهاية لهذه العصور الوسطى.

كما انه اتخذت مجموعة من الأحداث لتشكل نهاية العصر الوسيط منها الاصلاح الديني و ظهور الطباعة.

و لقد عاشته أوروبا خلال هذه الفترة أحداثا هامة غيرت من حياة المجتمعات و تشكلت نظما حددت بها طبيعة الحياة لكل فرد داخل المجتمع فترة العصور الوسطى، لكن في بداية القرن التاسع الميلادي اتخذت هذه النظم لتكون تحت اسم واحد يحمل كل معاني الأنظمة و هو النظام الاقطاعي.

كان النظام الاقطاعي في طبيعته نظام اقتصاديا ساد أوروبا فترة العصور الوسطى، غير أن المؤرخين عرّفوه على أنه نظام شامل، فهو اقتصادي و سياسي و ديني الذي تفككت فيه السلطة المركزية للحكومة، لنقل محلها سلطات متعددة ينفرد بكل منها اقطاعي يكون له الأمر و المهني.

كما قام هذا النظام في أوروبا على أساس نمو التبعية الشخصية و تطورها و الذي يقوم في اساسه على العلاقات بين الممالك الكبير و الفلاحين المشتغلين في أرضه تتسم اساسها أنها علاقات تسلطية.

ولقد تدخلت عوامل مختلفة وأسباب كثيرة كانت وراء ظهور هذا النظام في العصور الوسطى و التي تشبت في المجتمع الاوروبي لفترة محددة منها أسباب سياسية و اقتصادية و كذا دينية لتكوّن نظاما عايشته المجتمعات الاوروبية و حتى المجتمعات الأخرى.

مرّ النظام الاقطاعي في تطوره بمراحل مختلفة بداية بمرحلة التمهيد الي مرحلة النضج وصولا الى مرحلة التكامل لهذا النظام و انتشاره بشكل تام في اوروبا العصور الوسطى.

وقد غير هذا النظام من طبيعة المجتمعات الأوروبية، إذ قسمت هذه الأخيرة الى طبقات التي شكلت الهرم الاساسي للنظام الاقطاعي، كذلك لم تسلم مجتمعات بلاد الشام من تطورات النظام الاقطاعي، اذ أن انتقاله الى بلاد الشام كان عبر الحروب الصليبية الي حركت بذلك المجتمع لينطوي تحت اجراءات الاقطاع.

وفي خضم كل هذه الأحداث فقد عاشته بذلك أوروبا نظاما لم تعهده المجتمعات السابقة، مختلف كل الاختلاف على الأنظمة المتعارف عليها سابقا، مما استدعى الى طرح العديد من التساؤلات: ماهي الاسباب و الظروف التي مهدت لظهور هذا النظام؟ وفيما تتمثل الأسس العامة و الاركان الاساسية للنظام؟ وماهي مراحل تطور هذا النظام؟ وهل غير هذا النظام الأنظمة والاجراءات الأخرى التي كانت سائدة في تلك الفترة؟ وكيف عاش المجتمع الأوروبي في ظل هذا النظام؟ وما تأثيره على مجتمع بلاد الشام؟ ورغم كل تطوراته ماهي الأسباب التي كانت وراء اضمحلاله وزواله؟

ولقد جاء هذا البث بتحريك جملة من الدوافع أقنعتني بتناوله بينها على الخصوص:

1- غياب فيما أعلم او نقص دراسات تنفرد الحديث حول موضوع النظام الاقطاعي في أوروبا بالعصور الوسطى.

2- الرغبة في المساهمة –المتواضعة- فكريا و علميا في اما صلة اللثام على النظام الاقطاعي الذي يعتبر أهم نظم أوروبا العصور الوسطى.

أما فيما يخص حدود الدراسة فإن المساحة الزمنية تدور من القرن التاسع ميلادي الى الحادي عشر ميلادي و هي الفترة التي ظهر فيها هذا النظام بشكل واضح وفترة التطور و التقدم.

وحتمت علينا طبعة الموضوع و الدراسة التي تناولتها استعمال المنهجيين: المنهج التاريخي الوصفي الذي استخدمته في سياق عرض الوقائع و الأحداق التاريخية و تسجيل أهم الآراء حول ظهور النظام، وكذا منهج التحليل كامل الأحداث و المواقف التي عايشت

تلك الفترة و قسمت هذه الدراسة الى ثلاثة فصول أساسية حولت فيها مناقشة كل لجوانب الخاصة بالموضوع.

جاء الفصل الأول بعنوان النظام الاقطاعي خصائصه و طبيعته و الذي ضم ثلاثة عناصر، كان الأول بعنوان تعريف بالنظام الاقطاعي كنظام اقتصادي وحيد الذي قام في أوروبا في فترة العصور الوسطى، وفي العصر الثاني بعنوان أسباب ظهور و نشأة النظام الاقطاعي هنا ركزت ابراز أهم الأسباب لتي كانت وراء ظهور هذا النظام من عوامل سياسية كالصراع حول السلطة بين الأحفاد وذلك بعد وفاة الإمبراطور شارلمان و تقسيم الإمبراطورية إلى قطاعات مختلفة بالإضافة إلى العامل الاقتصادي وهو تراجع التجارة في أوروبا خلال تلك الفترة هذا ما اضطر الكثير من الملوك الصغار الانطواء تحت حكم من هو أقوى منه.

أما الفصل الثاني الذي كان بعنوان اسس النظام الاقطاعي والذي فيه الاسس العامة لهذا النظام، إذ جاء العنصر الأول بعنوان مراحل تكور النظام الاقطاعي والذي ركزت فيه على مرحلتين اساسيتي هما البداية الأولى للنظام وصولا الى مرحلة النضج والكمال للنظام أما العنصر الثاني فهو بعنوان أنظمة و إجراءات الاقطاع و هنا وضحت أهم الأنظمة التي كان يقوم عليها هذا النظام و أهم اجراءات القطاع وهنا وضحت أهم الأنظمة التي كان يقوم عليها هذا النظام و أهم الاجراءات التي اتخذت من قبل الملوك ليأتي العنصر الأخير بعنوان أركان النظام، إذ كانت مجموعة الأركان تمثل الأساس لهذا النظام، و مثلت القرية الركن الاساسي و العالم الصغير لهذا النظام.

وختمت دراستي بالفصل الثالث و الذي كان بعنوان النظام الاقطاعي في المجتمع الأوروبي بلاد الشام، ففي العنصر الأول المجتمع الأوروبي في ظل النظام الإقطاعي فهنا تحدثت عن طبقات المجتمع الأوروبي التي ظهرت في النظام الاقطاعي، و كذلك الجيش الذي يمثل عنصر أساسي في هذا الموضوع، أما العنصر الثاني فكان فيه الحديث عن الاقطاع الصليبي في بلاد الشام وكيفية الانتقال هذا الاخير الى تلك المجتمعات الصليبية دور كبير مثل الأداة الأولى لتوجه النظام الى تلك المجتمعات خاصة في عهد بلدوين الأول.

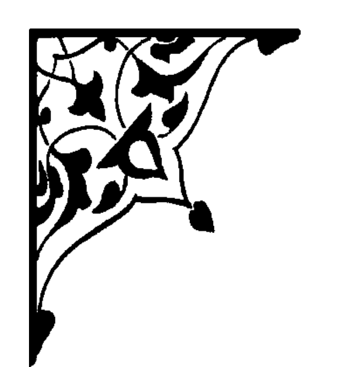
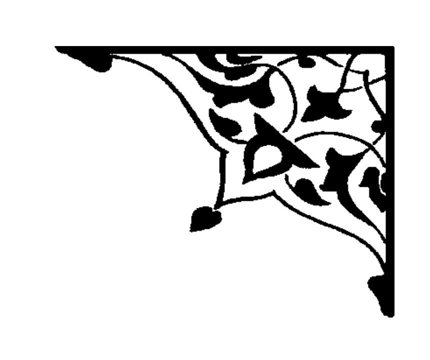
لأختم هذا الفصل بالعنصر الأخير بعنوان اضمحلال النظام الاقطاعي و هنا اشرت الى الاسباب و العوامل التي كانت وراء سقوط وزوال هذا النظام.

وقد اعتمدت في اعداد هذه المذكرة على عدد كبير من المصادر و المراجع، بأية في مقدمتها ابن الاثير الذي يعتبر مصدرا أساسيا و الذي اعتمد عليه في التعريف و كذا في معرفة بعض المصطلحات أضافة الى المقريزي و القزويني وهذه المصادر قد تناولت جانب من هذا الموضوع خاصة يما يخص معرفة الشخصيات و الأماكن.

كذلك اعتمدت مصدرا آخر وهو بطرس توديبود بعنوان تاريخ الرحلة التي بين المقدس و بترجمة محمد حسين عطية و الذي اعتمدت فيه في الحديث عن النظام في بلاد السام اضافة الى وليم الصور بعنوان الحروب الصليبية ترجمة حسين جثي و باقي المصادر الأخرى.

أما فيما يخص المراجع فهي كثيرة نذكر منها جوزيف نسيم يوسف بعنوان تاريخ العصور الوسطى الأوروبية و قد خصص جانب من هذ الكتاب بالحديث عن النظام الاقطاعي والذي استفدت منه بشكل كبير، كذلك كتاب تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لسيد الباز العريني الذي شمل على مختلف الجوانب الخاصة بالنظام.
وكذلك من المراجع المترجمة كمرجع أساسي هو كوب لاند بعنوان الاقطاع و العصور الوسطى بغرب أوروبا، وغيرها من المراجع الأخرى التي استدت منها كثيرا وتفرغت لكثير من وجهات نظرها.

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتها هو قلة المصادر المراجع المتناولة لهذا الموضوع، وكذا عدم تمكني اللغة اللاتينية التي ساهم مؤرخها بدور كبير في مختلف الدراسات التي لها علاقة بتاريخ أوروبا العصور الوسطى و بالأخص جانب النظم، وهو ما كان بالإمكان أن يجعل البحث أكثر قوة وموضوعية لو تسنى لي ذلك.

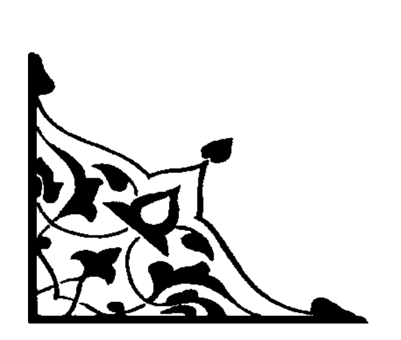
الفصل التمهيدي

النظام الإقطاعي خصائصه و طبيعته

1- تعريف النظام الإقطاعي.

2- أسباب ظهور و نشأة النظام الاقطاعي.

3- طبيعة وخصائص النظام.




I – تعريف النظام الاقطاعي:

أطلق الباحثون اسم النظام الاقطاعي على النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي ساد في العصور الوسطى. (1)

و للنظام الاقطاعي في أوروبا منابع و أصول رومانية وجرمانية و الذي يعود فجر ظهوره إلى القرنين الثامن و التاسع الميلاديين.

توجد وجهات نظر مختلفة لدى الباحثين في تعريف النظام الاقطاعي، لكن مهما كثرت التعاريف و اختلفت فإنها تؤدي إلى صيغة واحدة هي: تجزئة الملكية و السيادة. (2)

و استخدم المؤرخون لفظة الاقطاع في المعنيين، ففي المعنى الأول عدوا النظام الاقطاعي صورة من المجتمع لها خصائص متميزة و هي:

1- نمو التبعية الشخصية و تطورها.

2- وجود أنواع مختلفة للحقوق على الأرض و ارتباطاتها بالتبعية الشخصية. (3)

أما المعنى الثاني للإقطاع حسب البعض فيتمثل في أنه عبارة عن طائفة من فرضت على الرجل الحر الولاء (التبعية) و الخدمة خاصة الخدمة الحربية، و يتطلب ذلك من السيد أن يعطي تابعه قطعة أرض فسمي ذلك العطاء " اقطاع" و هو المعنى القانوني للمصطلح. (4)

و كيفما طان فالعناصر الجوهرية في كلا المعنيين للنظام الاقطاعي تتمثل في السيد، التابع، الاقطاع. (5)

و بهذا فقد وجد صعوبة في اختيار التعريف الحقيقي للنظام الاقطاعي، فالإضافة إلى ذلك هو ارتباط المصطلح بمجموعة من المفردات كالنبالة و السيادة، لكن بمعرفة

---

(1) كانتور نورمان، **العصور الوسطى الباكرة (القرن الثالث/ القرن التاسع ميلادي)** تر: قاسم عبده قاسم، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 1993، ص330.

(2) محمد، محمد، مرسي الشيخ، **النظم و الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى**، الشهابي للطباعة و النشر، القاهرة، 1998، ص10.

(3) كولتون ج.ج، **عالم العصور الوسطى في النظم و الحضارة**، تر: جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1983، ص9.

(4) كولتون، المرجع السابق، ص45.

(5) كانتور، المرجع السابق، ص339.

الحياة الاقطاعية نجد أن هذا النظام قد جمع في طياته كل طبقات المجتمع في تلك الفترة من خدم و عبيد و رجال و نساء. (1)

كما أن هذا النظام لم يرتكز على الحياة الاقتصادية فقط إنما جميع كل أنماط الحياة إضافة إلى الجانب الاقتصادي فقد كان يتدخل في الحياة السياسية و حتى الأخلاقية و كذا الدينية.

وإن كلمة اقطاع لم تكن موجودة في فترة العصور الوسطى وإنما جاء وتواجد في القرنين السابع عشر والثامن عشر من طرف رجال القانون الفرنسيين والانجليز خلال الثورة الفرنسية 1789 إذ واجهت العناية إلى بعض الأنظمة القديمة وهنا بدأ ظهور بعض المصطلحات مثل: الاقطاع، القن. (2)

و لقد عرف بعض المؤرخين من جهة أخرى النظام الاقطاعي في اجابتين هما:

أولا: أن الإقطاع كان ينتمي إلى كل ما كان قائما على الأراضي المقتطعة من مؤسسات وإلى نظام المبايعة الذي ترعرع في حضن الدولة الكارولنجية(3) والذي تطور في القرن 11م.

ثانيا: أن الاقطاع كان يرجع للمجتمع الاقطاعي ككل هذا ما جعل من الاقطاعية و الملكية ليست المقصود من ذلك النظام. (4)

و من خلال هذا يمكن تعريف النظام الاقطاعي أنه النظام الشامل لعدة أنظمة تحكم المجتمع و يحدد علاقة الفرد بمن هو أعلى مرتبة منه و بمن هو أدنى منه. (5)

و بذلك النظام الاقطاعي هو نظام اقتصادي و سياسي و اجتماعي يعتمد أساسا على الأرض الزراعية و التجزئة في كل شيء و يرتبط كل الارتباط بالأرض التي كان يهبها

---

(1) جونتان ريلي سميث، **الحملة الصليبية الأولى و فكرة الحروب الصليبية**، تر: محمـــد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1999، ص26.

(2) محمود عمران سعيد، **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة، بيروت، 1991، ص64.

(3) الدولة الكارولنجية: هي الإمبراطورية التي حكمتها الأسرة الملكية الثانية التي خلفت الأسرة الميروفرونجية، سنة 751م، و حكمت فرنسا و ألماني لغاية سنة 987م. ابن الجوزي أبو فرح عبد الرحمان (547ه/1201م)المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم. تر: محمـــد عبد القادر مصطفى عبد القادر دار الكتب العلمية، ج18، لبنان، 1992، ص340.

(4) محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 68-69.

(5) العريني السيد الباز، **الحضارة و نظم أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، 1968، ص30.

الامبراطور للملوك و أولئك النبلاء و هكذا لتصل إلى رفيق الأرض إلى أسفل السلم الاقطاعي.

II – أسباب ظهور و نشأة النظام الاقطاعي:

اتحدت مجموعة من الظروف التي أثرت تأثير كليا في الاقتصاد الأوروبي و ذلك خلال القرن السادس الميلادي و التي مهدت لبداية ظهور النظام الاقطاعي. [1]

كان لتقلص التجارة و تراجعها في بلاد أوروبا أحد أهم الأسباب التي كانت وراء ظهور النظام الاقطاعي و سبب هذا التقلص هو ارتفاع تكلفة عمليات النقل البحرية مقابل أرباح قليلة حتى في عهد الدولة الكارولنجية، كان التجار قلائل إضافة إلى استيلاء المسلمين في تلك الفترة على المناطق الساحلية للمتوسط مثل مالطا و غيرها، كما استولوا على معظم جزيرة ايبيريا (اسبانيا) كذلك تعرضها لهجمات الفاينكج[2] في تلك الفترة حتى القرن الحادي عشر الذي ألحق بفرنسا الدمار نتج عن ذلك التدفق للفاينكج و آلاف القتلة. [3]

ومع ظهور الممالك الألمانية أدى هذا إلى انقطاع سبل التجارة في العالم الروماني والغربي مما دفع بالتجارة للتنقل نحو الطرق القديمة الرومانية و استمرت التجارة لكن ليست في أساسيات الحياة و إنما فيما يخص ثياب البلاط و ملابس رجال الكنيسة والتوابل وغيرها.

كان للحروب من القبائل الجرمانية [4] أثر كبير في تقليص النشاط التجاري في تلك الفترة.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه المدن الايطالية و الفرنسية غير آمنة بسبب ما تعرضت له من خطر الفاينكج في القرن الثامن انتقل هنا الأرستقراطيون و كبار رجال

---

(1) كولتون، المرجع السابق، ص60.

(2) الفاينكج: أو الشماليون أو النورثمن، هم مجموعة من الشعوب التي سكنت جزيرة أسكنديناوة، وشبه جزيرة الدانمارك وحوض بحر البلطي من السويديين و النروجيين و الدانيين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط14، دار الصادر، بيروت، 1977، ص234.

(3) كوبلاند، **الاقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا**، تر: محمـــد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1977، ص234.

(4) القبائل الجرمانية: هي فرع من الجنس الأوروبي الهندي، وصلة لأوروبا عن طريق هجرة من الشرق صوب الغرب منذ زمن بعد فتحركن اتجاه الامبراطورية الرومانية، أكثر المجموعات البربرية، محمود سعيد عمران. معالم تاريخ اروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت ،1986، ص65،64

المال و النبلاء إلى المناطق الريفية و كانوا محاطين بمجموعة من الرجال المزارعين الذين كانوا يعملون عندهم، و بدأوا لتشييد القصور للأمراء.

و بدأ رهبانها في حرث الأرض و الاشتغال بالمهن الحرفية [1]

وفي تلك الظروف من الحرب والقتال كان الناس يلتحقون بالتشكيلات الأمنية التي كانت تحت إمرة السادة والأساقفة وكانت بيوتهم بجانب بيت السيد طلبا للحماية، كان ذلك الجو بمثابة الانتهاء الشبه الكلي للتجارة واعتماد أوروبا على الاكتفاء الذاتي بالناتج المحلي وتخوله معظم المدن إلى مجرد قرى يقطنها عمال زراعيون. [2]

تسببت هذه التطورات في نشوء ممالك جديدة ظهر وتطور عنها ما يعرف بالنظام الاقطاعي، الذي يعتبره المؤرخون أنه نبع من هذه الظروف أو من قلب القبائل الجرمانية الذين كانوا يقاتلون ضد الإمبراطورية الرومانية. [3]

إضافة إلى ذلك فإنه هناك أسباب أخرى كانت وراء ظهور هذا النظام والذي يرجعه المؤرخون إلى ضعف امبراطورية شارلمان[4] بعد وفاته بسبب تنازع أحفاده على املك ذلك التنازع الذي أدى إلى تجزئة الدولة وكذلك اشتدت غارات النورمانديين على سواحل أوروبا في القرن التاسع الميلادي، فكانت سفنهم تنهب المدن و المزارع. [5]

وبذلك ضعف الحكومات المركزية وعجزها عن الدفاع عن البلاد فعمت الفوضى وأصبحت الغلبة للأقوياء، فاغتصبوا حقوق الضعفاء، ووضعوا أيديهم على متاجرهم ولما لم يجد الضعفاء الحماية طلبوا حماية أمراء الأقاليم من البارونات والكونتات وأصحاب النفوذ وتنازلوا لهم عن أراضيهم مقابل حماية لهم واعتبروا أنفسهم اتباعا لهم. [6]

---

(1) الشيخ، المرجع السابق، ص45.

(2) العريني ، المرجع السابق، ص40.

(3) الامبراطورية الرومانية: مصطلح أطلق على المرحلة التي تلت الجمهور الرومانية التي حكمت روما، فهي تطور للحكم السياسي لروما، محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص55.

(4) شارلمان: 742-814م حاكم الامبراطورية الكارولنجية بين عامي 768-800م وامبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة 800-814م وهو الابن الأكبر للملك بيين الثالث، الزركلي خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الدمشقي (ت 1396)الإعلام. دار العلم للملايين، ط15، بيروت، ج8، 2002، ص306.

(5) كين موريس، **حضارة أوروبا بالعصور الوسطى**، تر: قاسم عبده قاسم، عينة للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، ط1، القاهرة، 1994، ص 60.

(6) كوبلاند، المرجع السابق، ص50.

و لم تسلك الكنيسة في تلك الفترة من بطش المغتصبين و العابثين بالأمن فتعرضت ممتلكاتها للنهب مما اضطر الكنائس إلى طلب حماية الأقوياء من الأشراف مقابل قيامها بخدمات خاصة لهم. (1)

و لم يكن للأمراء في جهد شارلمان مرتبات ثابتة، و إنما كان بمنحهم ثلث إيرادات الأرض التي تحت اشرافهم. كما كان يهبهم جزءا من الأرض يستغلونه لأنفسهم، وتعرف هذه الأرض بالدومين، كانوا فوق ذلك يعفون من دفع الضرائب، لكن مع ضعف الدولة في عهد أحفاده جعل الأمراء حقهم على الأرض وراثيا. (2)

يتضح أن أرض الاقطاعات قد آلت للإشراف ما عن طريق الهبة و الاغتصاب أو تنازل أصحابها عنها طوعا.

لم يسبق هناك في أوروبا أرض يمتلكها صاحبها امتلاكا حرا و جرت قاعدة بأنه لا بد من كل قطيعة أرض من سيد و أن واضع اليد عليها يكون تابعا لهذا السيد، و بذلك انقسم الناس إلى سادة و تابعين و أصبح كل سيدا قطاعي تابعا لملك و سيدا لأتباعه و بذلك تغيير نظام المجتمع و تحول إلى ما يعرف بنظام الاقطاع. (3)

أي أن مجموعة من الظروف قد اتحدت لتكون أسباب وراء ظهور النظام الاقطاعي منها السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية. (4)

ويقول كانتور في أسباب ظهور النظام الاقطاعي أن هناك نقاش كبير حول ما إذا كانت النظم الاقطاعية رومانية أم جرمانية في الأصل وقد رأى أن همزة الوصل التي تربط بين النظم الاقطاعية في القرن العاشر قد تكونت من خلال أشكال سياسية وقانونية واقتصادية معينة جرمانية في بعض الأحوال ورومانية في أحوال أخرى وذلك لحاجة اجتماعية بعد انهيار الامبراطورية الرومانية. (5)

---

(1) كولتون، المرجع السابق، ص85.

(2) العريني، المرجع السابق، ص87.

(3) كين موريس، المرجع السابق، ص77.

(4) محمـــد محمـــد مرسي الشيخ، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص25.

(5) كانتور، المرجع السابق، ص334.

من خلال كل ما تقدم يمكن القول أن النظام الاقطاعي في بلاد أوروبا ظهر نتيجة الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية فرضت عليها أوضاعا جديدة و نظاما مختلف هو النظام الاقطاعي. [1]

وفي الفترة الممتدة من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر اكتمل النظام الاقطاعي وشاعت النظم الاقطاعية في بلدان أوروبا الغربية[2]، ثم إلى مملكة بيت المقدس والامبراطورية اللاتينية، و استند النظام الاقطاعي في تلك الحقبة إلى تسلسل مزدوج، تسلسل تبعية الأشخاص و تسلسل أملاك الانتفاع و قد انضمت في هذا النظام التبعية المنحدرة من الحماية القديمة. [3]

كذلك تجزئة الدولة و تغير سياستها، فقد تحلى الكونتات ممثلي السلطة العليا، عن جميع أملاك الدولة و حقوق الملكية الداخلة في منطقتهم الإدارية و عدها كرواتب تدفع لهم. [4]

(1) جونتان سميث، المرجع السابق، ص66.

(2) الشيخ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص30.

(3) كانتور، المرجع السابق، ص336.

(4) كوبلاند، المرجع السابق، ص60.

III- طبيعة و خصائص النظام الإقطاعي:

من الثابت ان المجتمعات الاقطاعية تباينت وفق تعدد خصائص النظام الاقطاعي التي حددت طبيعة المجتمع الأوروبي.

وأول ما نلاحظه على النظام الاقطاعي أنه تغيير عن التطرق في اعتماد المجتمع على علاقة التبعية الشخصية التي ترتبط بحيازة الأرض، هذا مع ملاحظة أن العلاقة الاقطاعية بين الأفصال [1] وسادتهم إنما هي رابط بين رجال أحرار بعضهم ببعض، فالفصل في ظل النظام الاقطاعي رجل حر يتمتع بحريته كاملة مهما كانت درجته في سلم هذا النظام، و كل ما هناك أنه ارتبط بعقد مع سيد الاقطاعي بحيث فرض عليه هذا الرباط مجموعة من أخرى من الحقوق. [2]

يلاحظ كذلك على النظام الاقطاعي في القرن الحادي عشر أنه أخذ يربط عناصر كل مملكة من ممالك غرب أوروبا الاقطاعي [3]، ذلك بأن الملوك أخذوا يفرضون حقوقهم الاقطاعية تدريجيا على أفصالهم ويتمسكون بهذه الحقوق مما زاد من قوتهم ونفوذهم وأدى بالتالي إلى نشأة ما يعرف باسم الملكيات الاقطاعية. [4]

تميز النظام الاقطاعي بأن الكنيسة كان لها أثر واضح في تطوره لا سيما فيما يتعلق بالحروب و المنازعات بين الأمراء، الاقطاعين و توجه نشاط هؤلاء الأمراء وجهة أخرى تنفق و مصالح المجتمع المسيحي. أيضا تميز بوجود وحدات اقتصادية تكفيه نفسها بنفسها فالضيعة الاقطاعية كانت في حد ذاتها وحدة مكتفية الشفاء ذاتيا الأمر الذي عاق تقدم الحياة الاقتصادية في بلدان غرب أوروبا. [5]

---

(1) الأفصال و الاتباع: هم الأفراد الذين يعيشون بقرية السيد، فيقدم لهم حصصا من الأراضي مقابل ما يؤدونه للسيد من خدمات في أراضيه، هارتمان باركلاف، الدول و الامبراطورية في العصور الوسطى، تر: جوزيف نسيم، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1984، ص113.

(2) عاشور سعيد عبد الفتاح، حضارة و نظم أوروبا في العصور الوسطى، ق1، دار النهضة العربية، بيروت، 1900م، ص95.

(3) هنري بيرين، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، تر: عطية قوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص61.

(4) كوتلاند، المرج السابق، ص26.

(5) بيشوب موريس، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، تر: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، 2005 م، ص58.

و بهذا يمكن تعديد خصائص النظام الاقطاعية في ما يلي:

1- أنه نظام قائم من حيث الأساس على استثمار الأقنان (عبيد الأرض من الفلاحين و الحرفيين)[1]

2- تعايشه الملكية الاقطاعية الكبيرة مع الاستثمارات الصغيرة الخاصة بالفلاحين و الحرفيين.

3-العلاقة بين الملك والفلاحين مبنية على أساس ما يسمى بالإكراه المباشر.

4- أن فائض المنتوج بأخذ أشكالا مختلفة من الريع " ريع العمل الريع النقدي " .

5- سيادة الاقتصاد الطبيعي الريفي و الاقتصاد السلعي في المدن [2] و خصوصا في المراحل الأخيرة من هذا العهد.

6- تبعية القطاع الصناعي المنزلي للقطاع الزراعي.

7- أن القانون الأساسي للاقتصاد في عصر الاقطاع يكمن في انتاج مقدار فائض من المنتوج لسد حاجة اقطاع للسادة. [3]

8- أن التقسيم الطبقي في ظل هذا النظام ينقسم إلى اقطاع و فلاحين في الريف و المناطق التي تعيش في ظل الانظمة الاقطاعية و يمثل النبلاء و طبقة رجال الدين و الكنيسة أكبر اقطاعيين في العصور الوسطى، و في المدن هناك أثرياء التجار و الحرفيين و الملاكين. [4]

---

(1) هنري بيرين، المرج السابق، ص96.

(2) محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص96.

(3) كانتور، المرجع السابق، ص337.

(4) محمود صالح عطية، **تاريخ الفكر الاقتصادي في العصور الوسطى**، كلية الإدارة و الاقتصاد، القاهرة، 2010، ص45.





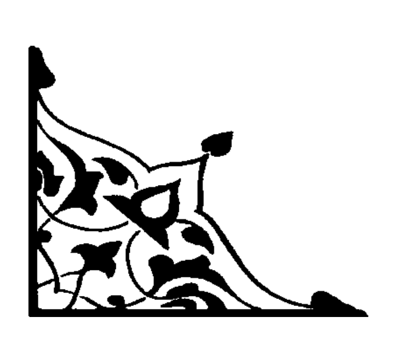
الفصل الأول

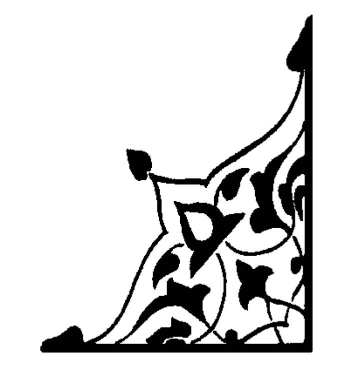
أسس النظام الإقطاعي

1- مراحل تطور النظام الاقطاعي من القرن التاسع الميلادي الى القرن الحادي عشر.

2- أنظمة و اجراءات الاقطاع.

3- اركان النظام الإقطاعي.





1-مراحل تطور النظام الإقطاعي:

أ-النظام الإقطاعي في القرن التاسع ميلادي " بداية تطور النظام".

لقد توحدت مجموعة من الظروف التي ساعدت على تطور النظام الإقطاعي وظهوره كنظام قائم بذاته والتي كانت الجذور الأولى لهذا التطور هو القرن التاسع الميلادي[1].

إذ يعتبر هذا القرن هو العصب الأول للنظام وذلك لما شهده من أحداث كانت كلها أبواب فتحت الفرصة للنظام الإقطاعي بالنهوض في بلاد أوروبا خلال العصور الوسطى[2].

إذ يعتبر النزاع الذي قام بين الملك لويس وأبنائه مساعدا لنمو النظام الإقطاعي[3]، وذلك بتقسيم المملكة بين أبناءه وأصبح كل ملك يستولي على العرش وكل ما كان تابعا لها من الممتلكات. وقد تطورت هذه النزاعات لتشمل التنازع بين الملوك والأبناء من أجل فرض السيطرة[4].

اعتبر هذا التنازع هو الباب الأول لبداية ظهور النظام.

بالإضافة إلى ذلك فقد شهدت بلاد أوروبا خلال هذا القرن اغارات الفايكنج التي تعتبر من أهم الاغارات في تلك الفترة والتي شملت كل سواحل فرنسا، والتي لم تتمكن

---

(1) نورمان كانتور، **التاريخ الوسيط قصة حضارة بداية ونهاية**، تر:قاسم عبدة قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، ص340.

(2) يوسف جوزيف نسيم، **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984، ص203.

(3) الملك لويس: أو لويس الورع رأس الإمبراطورية الكارولنجية بين عامي " 814. 840" إمبراطور وملك فرنجة بالاشتراك مع والده شارلمان عام 813 صار الحاكم الوحيد لفرنجة إثر وفاة والده عام 814 البلعكي منير، معجم أعلام المورد، موسوعة تراجم أشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص340.

(4) عاشور، **حضارة ونظم**، ص382.

فيها بلاد أوروبا من التصدي لها[1]، وأصبحت عاجزة عن بسط الأمن والسلام في المنطقة، وهذا ما شجع على ظهور طبقات في المجتمع الأوروبي خاصة طبقة العاملين، والذين كانوا يطلبون الحماية امن هم أقوى منهم وذلك بأداء خدمة مقابل ذلك الطلب وهو الأمن[2].

وفي كل هذه الظروف قسمت المجتمعات في أوروبا خلال العصور الوسطى إلى فريقين: فئة مطالبة بالدعم والحماية وذلك بأن تصبح تابعة لأحد المناطق والملوك الأقوياء وفئة تنتقل إلى طبقة الفلاح الذي لا يتمتع بأي حرية، ولكن أغلى ملاك أوروبا في القرن التاسع الميلادي اختار الفريق الأول[3] وهو أن يكون تابعا للمناطق القوية على أن لا ينزل إلى فئة التابعين، وفي هذه الفترة لجأ كل من كانت له أرضا ملكا زيادة عن حاجته بمنحها على هيئة إقطاع لأتباعه[4].

ولقد كان للكونتات وأساقفة الدولة خلال هذه الفترة دورا كبيرا في نمو النظام الإقطاعي، وذلك من خلال دعمهم له، كذلك من بين التحولات التي شهدها النظام في هذه الفترة أن أصبح نظاما وراثيا، الذي سعى الافضال لتأكيده، إذ أصبحت تدفع ضريبة الوراثة والتي سميت Relief [5].

أصبح في القرن التاسع للميلادي امتلاك الأرض في النظام الإقطاعي مرتبطا بالحكم، إذ أن سمحت السلطة بالأرض وأصبحت العلاقات بين صاحب الأرض ومن

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، **أوروبا العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص174.

(2) نورمان كانتور، **التاريخ الوسيط**، ص337.

(3) عاشور، المرجع السابق، ص200.

(4) يوسف جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص290.

(5) عاشور، **حضارة ونظم**، ص423. 424.

يعيش فيها يقوم على أساس مجموعة من الالتزامات والتعهدات والتي مثلت القاعدة الأساسية للنظام[1].

كما أن أوروبا خلال هذه الفترة شهدت تقسيمات عديدة وذلك بعد سقوط إمبراطورية شارلمان والتي ترتب عنها مجموعة من فئة التابعين تحت ألقاب مختلفة من أمير وبارون ودوق وغيرها[2]. وأصبح لكل واحد منهم إقطاعات خاصة بهم وهذا ما يبرز هذا النظام خلال فترة القرن التاسع إلى العاشر الميلادي[3].

وفي كل هذه الظروف التي شهدها القرن التاسع الميلادي تكونت في بلاد أوروبا خلال العصور الوسطى طبقة مختلفة من السادة الإقطاعيين والأفصال والتابعين وأصبح لكل فئة دور في المجتمع الإقطاعي[4]. وبرز الفارس كعضو أساسي إضافة السيد والتابع إذ تمثل هذه الهرم الأساسي للنظام الإقطاعي[5].

(1) بانتر سيدني، **أوروبا الغربية عشية الحروب الصليبية. تاريخ الحروب الصليبية**، تر: سعيد عبد المحسن، منشورات بيت المقدس، رام الله، ج1، 2004، ص15.

(2) يوسف جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص205.

(3) كانتور، **التاريخ الوسيط**، ص230.

(4) بانتر، المرجع السابق، ص26.

(5) عاشور سعيد عبد الفتاح، **حضارة ونظم**، ص386.

ب-النظام الإقطاعي خلال القرن الحادي عشر الميلادي " عصر النضج".

يعتبر القرن الحادي عشر هو أهم محطة من محطات النظام الإقطاعي والذي شهد فيه النظام تطورا كبيرا في كامل بلاد أوروبا وليشمل المناطق كلها[1]. إذ اكتمل نمو هذا النظام وعرف تطورات مختلفة ساهم في تطوير المجتمعات الأوروبية خاصة مجالها الاقتصادي[2].

فقد أصبحت السلطة في هذا القرن ترجع إلى كبار الأفصال الملك والذين نقلوها بدورهم إلى أفصالهم إذ كانت سيادتهم على الضياع الإقطاعية ذلك بالسيطرة السياسية على الفلاحين التابعين[3]. ولقد كان النظام الأساسي في الإقطاعية بين السيد وأفضاله في هذه الفترة في ميدان الحرب لأن مهمة السيد الأولى هي توفير الأمن والحماية لأفضاله مقابل ذلك كان الفضل هو تقديم الخدمة[4].

ولقد أصبح هذا النظام نظاما قائما بذاته ومتناميا يتماشى مع مقتضيات المجتمع الأوروبية في ذلك العصر إذ كان يحوي مجموعة من الأنظمة والعادات والتقاليد المحلية لكل منطقة وكل هذه الصفات شكلت هيكلا أساسيا ومتناميا للتملك والحيازة والسلطة[5].

أصبح الملك أو السيد في هذا القرن يطمح إلى الزيادة في أملاكه وذلك بتقوية طبقة العاملين من أجل تكثيف الربح فصار يفرض شروطا على الفلاح وإذ عجز هذا الأخير عن إتباعها يسحب منه الأرض التي كانت بحوزته[6].

---

(1) بيرين هنري، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى الأوروبية. (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)**، تر: د عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص87.

(2) كوبلاند، المرجع السابق، ص10. 11.

(3) حاطوم نور الدين، **تاريخ العصر الوسيط في أوروبا**، دار الفكر العربي، دمشق، 1982، ج1، ص110.

(4) بيرين هنري، المرجع السابق، ص420.

(5) كانتور، **التاريخ الوسيط**، ص240.

(6) كانتور، **التاريخ الوسيط**، ص245.

ولقد ثبتت فرنسا في هذا القرن مثالا لنزاهة الإقطاع إذ كانت عمليات الإقطاع في تلك المنطقة مجملها ناضجة فقد حاز الكونتات على استقلال عملي عن الملوك لكن بالحفاظ على سلطتهم في مناطق نفوذهم[1].

وأصبحت فرنسا في القرن الحادي عشر هي الدولة الإقطاعية الوحيدة في أوروبا إذ كان الملك سيدا إقطاعيا في بلاطه عمل على تكوين جيش من أتباعه. وأصبح قصر الملك فيها بمثابة ملجأ للفلاحين والبسطاء الذين كانوا يقومون بالفلاحة والتجارة[2].

أما انجلترا فإن الإقطاع بها جمع بين العناصر الرومانية وظلت هذه المنطقة بعيدة عن الإقطاع إلى عام 1066م وذلك بقدوم الغزو النورماني[3] الذي فرض عليها قانون الإقطاع الذي كان في طياته، وذلك لأن الملك والدوق النورماني أخذ خلال القرن الحادي عشر كيفية استخدام النظم الإقطاعية.

وبهذا نجد أن الإقطاع قد حقق التقدم الاقتصادي والاجتماعي خلال القرن الحادي عشر[4] وذلك بمختلف الخدمات إذ أوجد تطور هذا النظام حضارة موحدة وآخر تقدما ملحوظا في المجالات المحلية، كما استحدثت المؤسسات الخاصة بالجانب الزراعي[5].

وكانت هذه الفترة الأساس في التطور الزراعي لبلاد أوروبا والتي ميزت أوروبا بالفائض في الإنتاج الزراعي[6]، هذه التطورات من النظام الإقطاعي ساهمت وأثرت

---

(1) فيشر، **تاريخ أوروبا العصور الوسطى**، تر: محمد زيادة والسيد الباز العريني، دار المعرفة، ط6، القاهرة، 1950، ص260.

(2) بيرين هنري، المرجع السابق، ص440.

(3) النورمان: هم فرقة من الفيانج استوطنت على طول نهر السين من الناحية الشمالية الغربية لفرنسا. وأسسوا هناك لجنة دوقية الدولة النورمانية القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 ه/ 1283م). **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار الصادر، (د. ط)، لبنان، (د. ت)، ص360.

(4) عبد القادر أحمد اليوسف، **العصور الوسطى الأوروبية**، المكتبة المصرية، القاهرة، ص130.

(5) بيشوب مرسي، المرجع السابق، ص128.

(6) كوبلاند، المرجع السابق، ص15.

بشكل كبير على الاقتصاديات الأوروبية، والتي مست كذلك مختلف الجوانب الأخرى سياسية كانت أو دينية.

وجاءت بمجتمع أوروبي جديد ومطور هو المجتمع الإقطاعي[1].

ومثل القرن الحادي عشر الفترة الذهبية للنظام الإقطاعي والذي بسط فيه سيطرته، وأجبر الناس على قبول قوانينه طلبا للأمن واستمرارا لحياتهم، وذلك بإتباع أوامر السادة وكبار الدولة[2].

---

(1) كانتور، **العصور الوسطى**، ص338.

(2) اليوسف، المرجع السابق، ص174.

أنظمة و اجراءات الإقطاع:

إن النظام الإقطاعي كان يرتكز على مجموعة تنظيمات فرعية وقواعد أساسية، ولقد كان الولاء الشخصي هو أساس هذا النظام وذلك بمختلف الالتزامات التي كانت بين القوي والضعيف وعلى كل شخص إتباع الواجبات اللازمة عنها ومن خرج عن هذه الأسس فقد مجموعة من الحقوق [1].

وإذا كانت الأرض أو ملكيتها هي أساس النظام الإقطاعي فإن تنظيم هذه الملكية كان يقوم على أساس عقد سمي بالعقد الإقطاعي ولقد أشتمل هذا التعاقد على فكرة التابع والمتبوع[2].

ولقد جرى العقد الإقطاعي وفق مراسيم خاصة[3]. والذي كان فيها يمين الولاء هو الحلقة الأولى من هذه المراسيم، وكانت تقوم هذه من خلال طقوس نظامية بما ينص عليه النظام إذ يحضر التابع إلى سيده الأعلى ويركع أمامه. ويقسم بأن يكون مخلصا لسيده، ويتعهد بالقيام بكل ما يأمره وبعد هذا القسم[4]. يقوم السيد بإعطاء تابعه كمية من التراب ليدل بذلك على منحه إقطاع من الأرض كما يسلمه علما وشهادة مكتوبة التي يحدد له فيها الأرض الخاصة بالإقطاع[5].

ولقد كانت هذه العملية تنتهي بالتقليد وسميت الأرض المقتطعة مقابل الخدمة في اليمين إقطاعا[6].

---

(1) العريني، **الحضارة والنظم**، ص27.

(2) فيشر، **تاريخ أوروبا العصور الوسطى**، ص166.

(3) كوبلاند، المرجع السابق، ص45.

(4) فير جرادوف، **النظام الإقطاعي**، تر: محمد زيادة، دار المعرفة، القاهرة، ص 66.67.

(5) عاشور، **تاريخ أوروبا**، ص180.

(6) فير جرادوف، المرجع السابق، ص85.

وبعد إبرام هذا العقد بين السيد والتابع تتحدد بذلك مجموعة من الواجبات التي يجبر التابع على العمل بها دون الخروج عن أوامرها[1].

ومن بين هذه الواجبات اللازمة عليه هو الوفاء لسيده وإتباع كل أوامره وتجنب كل أمر قد يؤذي السيد[2].

- ابتعاد التابع عن كل ما يطعن السيد في شرفه.
- الابتعاد عن ممتلكات السيد والعمل على الحفاظ عليها فقط [3].

كما أن الواجب العسكري هو أول واجب على التابع الالتزام به وذلك بتقديم الخدمة الحربية. إذ قام كل فصل بالخدمة العسكرية في جيش سيده [4]، كما اشترك في حراسة قلعة السيد. وتنوعت الخدمة الحربية لتشمل كذلك الاشتراك في فرق الرماة، اضطلع كذلك الأتباع بواجبات اجتماعية إلى جانب الخدمات العسكرية وذلك بالتزامهم بالحضور لمقابلة السيد الإقطاعي نفقتهم الخاصة، كما كانوا يترددون على سيدهم للتشاور معه في كل ما يخص المنطقة من شؤون الحرب أو المشاركة في الأفراح[5].

مقابل ذلك كان العقد في النظام الإقطاعي يضم مجموعة من الالتزامات تجاه السيد والتي تلزمه على أتباعه وعدم الخروج عنها ومن بين هذه الالتزامات هي توفير كل سبل المعيشة لتابعه وكذا تحقيق العدالة بينهم [6]. إذ تعهد السيد بالإخلاص لتابعه مثلما تعهد له التابع بذلك، وجعلت المحاكم تعمل على حل القضايا التي ترفع من التابع ضد السيد في حالة حدوث أمر ما [7]. وأصبحت المحاكم الخاصة بهم والتي ضمنت عددا من الأفضال

---

(1) أحمد صادق الطنطاوي، **تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب**، دار الطباعة الأهلية، ط2، القاهرة، 1933، ص160.

(2) كولتون، المرجع السابق، ص140.

(3) العريني، **الحضارة والنظم**، ص28.

(4) حاطوم، المرجع السابق، ص130.

(5) فير جرادوف، المرجع السابق، ص108.

(6) العريني، **حضارة ونظم**، ص 29. 30.

(7) كولتون، المرجع السابق، ص41.

ذات أحكام قوية إذ أصبح لا يمكن للسيد أن يتبرع من التابع الخاص به الإقطاع دون توفر الأسباب اللازمة وراء ذلك[1]، كأن يخرج التابع عن أحد الواجبات اتجاه سيده الإقطاعي، حيث أنه إذا حدث وخرج التابع عن أي التزام ضد سيده فإنه سيتعرض لعقوبة أولها هي استرداد أرض الإقطاع منه[2].

وبذلك يمكن القول أن هذه الالتزامات التي وضعت في النظام الإقطاعي قد نظمت حياة المجتمعات الأوروبية وجعلت لها حدودها العملية والحياتية إذ عمل كل شخص في ظل هذا النظام على إتباع ما يجب عليه فعله وإلا حرم من الكثير من الحقوق التابعة له[3].

ومن النظم الإقطاعية التي اشتهر بها النظام الإقطاعي فترة العصور الوسطى تقوم على أساس الأرض التي كان يهبها السيد للتابع والتي سميت في تلك الفترة بالهبة المشروطة[4]. والتي كان تعطى للتابع لخدمتها من أجل الزيادة في الإنتاج المحلي والتنوع المحاصيلي لتحصيل النفقة للسيد الإقطاعي وكامل أتباعه. وكان من أبرز من ابتكر هذا النظام في النظم الإقطاعية هو الملك شارل[5] " 689. 744م" وهو صاحب هذه الفكرة والعامل بها[6]. إذ سميت هذه الأرض الممنوحة باسم اقتطاعته وهنا يكون عمل التابع هو خدمة الأرض مقابل ما يحصل عليه من الأمن والحماية[7].

(1) اليوسف، المرجع السابق، ص179.

(2) بانتر، المرجع السابق، ص33.

(3) فيشر، المرجع السابق، ص254.

(4) فير جرادوف، المرجع السابق، ص140.

(5) شارل مارتل، هو والد ببين القصير، وجد شارلمان، قاد المعركة التي انتصر فيها على المسلمين والتي سميت بلاط الشهداء. وكان يلقب بالمطرقة ابن الجوزي، المصدر السابق، ص450.

(6) الشيخ، **النظم والحضارة**، ص34.

(7) أحمد صادق الطنطاوي، المرجع السابق، ص204.

وبذلك فقد كانت قداسة القسم هي أساس كل هذه النظم الإقطاعية وجعلت من النظام الإقطاعي يظم نظما أخلاقية قامت عليها أسس المجتمع الأوروبي وضبطت بها قواعد وقوانين كل المناطق في أوروبا خلال فترة العصور الوسطى[1].

فبرغم من ذلك إلا ان بعض من مناطق أوروبا شهدت صراعات بين السادة الإقطاعيين وكذلك التابعين وذلك لغياب أو مخالفة جانب من جوانب الالتزامات الخاصة بالنظام والعقد الإقطاعي المبرم بين الملك والتابع [2] كما ان المجتمعات الأوروبية أصبحت وفق هذه النظم مقسمة إلى ثلاث عناصر أساسية كانت الوجه الأساسي للنظام الإقطاعي [3] والتي تمثلت في الأساس من الأساقفة والنبلاء والفلاحين. إذ أن هذه الأخيرة كانت هي الممثلة للقرية الإقطاعية وكانت وظيفتهم هي الأرض وخدمتها [4].

وكان المبدأ الأساسي الذي قام عليه الإقطاع هو الثنائية وهي الكنيسة والدولة وكانت كل جهة منهما تحاول القفز على سلطة الآخر [5].

---

(1) فيشر، المرجع السابق، ص270.

(2) عاشور، **حضارة ونظم**، ص210.

(3) عاشور، **تاريخ أوروبا**، ص 283.

(4) كوبلاند، المرجع السابق، ص15.

(5) العريني، المرجع السابق، ص32.

3- أركان النظام الإقطاعي:

لقد تعددت من خلال نظم الإقطاعية أركان هذا النظام فبعد مجموعة الالتزامات والواجبات المبرمة من العقد الإقطاعي تعددت فئات أو أركان النظام في المجتمع الأوروبي خلال فترة العصور الوسطى [1]. والتي ظلت قائمة إلى غاية زوال نظام الإقطاعي[2] ولقد تكونت هذه الأركان التي مثلت الأسس العامة للنظام من فئة العبيد والأقنان والصنعة وكذا نظم الفلاحة إذ أن العمل في الأرض كان وفق أسس حددها النظام الإقطاعي[3]. التزمت بها الفئات الأخرى خاصة الفلاحين على أتباعها والعمل بها من أجل النهوض بمجتمع أوروبي متطور [4].

أول فئة يمكن الحديث عنها هي فئة العبيد والتي كانت تمثل أهم عناصر النظام الإقطاعي إذ كان عملهم في منزل السيد وكذلك الأرض [5]. لكن في بعض مناطق من أوروبا اختصرت مهمة العبيد في الخدمة المنزلية فقط بعيدا عن الأرض [6].

ولقد اشتهرت في تلك الفترة عملية المتاجرة بهذه الفئة من العبيد، في الوقت الذي منعت فيه الكنيسة الأوروبية المتاجرة بالعبيد المسيحي للمسلمين لكن في مقابل ذلك فقد شجعت على استقدام فئة العبيد من المسلمين لخدمتهم [7]. إذ أن الكنيسة الإقطاعية كانت تملك مجموعة من العبيد من مختلف الديانات وكانت تختلف في معاملتها بين العبد المسيحي وغيره من العبيد الآخرين [8].

---

(1) اليوسف، المرجع السابق، ص108.

(2) كوبلاند، المرجع السابق، ص17.

(3) نفسه، ص6.

(4) العريني، **حضارة والنظم**، ص66.

(5) كين، المرجع السابق، ص52.

(6) الشيخ، **النظم والحضارة**، ص49.

(7) هلستر، **أوروبا العصور الوسطى**، تر: محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988، ص250.

(8) بانتر، المرجع السابق، ص15.

ولقد عاش العبد في المجتمع الإقطاعي في مستوى متدني إذ أنه في الوقت الذي كان يسمح له السيد بالزواج كان يلقبون عائلاتهم بالأفراخ وهذا دليل على دنو على منزلة العبيد داخل النظم الإقطاعية[1].

إضافة إلى هذه الفئة فإنها توجد الفئة الثانية والتي تتمثل في العنصر الحر أو الرجال الأحرار والذين يمتلكون الأراضي دون التقييد بأي التزامات وهذا ما كان يميزهم من فئات الأخرى[2] في أركان النظام الإقطاعي إذ كانت هذه الفئة تتكون من حوالي 4% فقط من الفلاحين في بعض مناطق أوروبا وذلك خلال القرن الحادي عشر عصر النضج للنظام الإقطاعي[3].

أما أهم فئة في أركان النظام الإقطاعي فهي عنصر القن[4] والذي كان يمثل القاعدة لهرم النظام في ذلك العصر ويتمثل هذا العنصر أساسا في الرجل الحر الذي أجبرته مختلف الظروف في أن يتناول عن حريته ضمانا لسلامته[5]، وقد تجمعت هذه الظروف أو الأسباب فيما يلي:

- تنازل عن أحد الواجبات اتجاه خدمته في الحرب وبذلك تعرضه لعقوبة.
- بيعه نفسه لسيد وذلك بسبب حاجته للمال لظروف معينة [6].

ولقد اختلطت هذه الفئة مع فئة العبيد لتكون طبقة واحدة من المجتمع الإقطاعي وصنف واحد من أهل الفلاحة [7].

---

(1) كين، المرجع السابق، ص 55. 56.

(2) عاشور سعيد عبد الفتاح، **حضارة والنظم**، ص410.

(3) هلستر، المرجع السابق، ص255.

(4) الشيخ، المرجع السابق، ص49.

(5) بانتر، المرجع السابق، ص12.

(6) كولتون، المرجع السابق، ص80.

(7) قاسم عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1993، ص 62. 63.

وكان عمل الفلاح هو خدمة الأرض التي يمتلكها السيد مقابل منح هذا الأخير قطعة أرض يستفيد منها من أجل ضمان معيشته ومعيشة أهله وكذا لتأمين حمايته [1]. لكن مقابل ذلك له التزام بدفع إيجار القطعة الممنوحة له لارتباط الفلاح لتلك الأرض لأنها كانت هي أساس حياته عصر الإقطاع.

وتميزت حياة الفلاح في ظل النظام الإقطاعي بالتعاسة لما كانوا يعيشونه. إذ كان الفلاح لا يتمتع بأي حياة سوى ما يكتسبه من خدمته لأرض سيده [2].

وكانت تقرض هذا الفلاح مجموعة من الضرائب التي يجبر على دفعها وإلا استرجعت منه الأرض المقتطعة وأهم الضرائب التي ألزم بها. وهي ضريبة الراس[3] وكانت هذه الأخيرة تدفع للحكومة، وكذا الالتزام بدفع مستحقات الاستئجار وإتاوة كانت قد فرضت عليه من قبل الحكومة[4].

وهذا فقد عاش الفلاح صعوبة كبيرة في حياتهم، إذ كانت منازلهم عبارة عن أكواخ إلى جانب الحيوانات وثيابهم كانت تصنع من جلود ماشية وصوف الأغنام وكانت العربة هي وسيلتهم الوحيدة للتنقل التي يجرها الثور[5]، وكان الفلاح لا يأكل لحما طازجا إلا في المناسبات فقط، وقد تكون باقي طعام الفلاح في الأساس من منتجات الألبان والخضروات[6]، وكان الفلاح لا علم له سوى بالزراعة.

ولقد كان تحول الفلاح إلى القن يتم من طرف الكنيسة وذلك تحت اسم حب الرب وذلك لحاجة الكنيسة لمن يخدم أرضها لتوسع ممتلكاتها ومن أجل ضمان لقوة العمل[7].

---

(1) عمران، **النظم والحضارة**، ص51.

(2) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص65.

(3) عاشور، **حضارة ونظم**، ص417.

(4) كوبلاند، المرجع السابق، ص25.

(5) الشيخ، **النظم والحضارة**، ص51.

(6) بانتر، المرجع السابق، ص12.

(7) محمود عمران سعيد، **تاريخ الحروب الصليبية**، دار النهضة العربية، بيروت، ص66.

ورغم كل هذا وما عاشه الفلاح في ظل النظام الإقطاعي إلا أنه لم يعتبر نفسه مظلوما. بل كان يمارس حياته بطريقة عادية وكان الأرض تمثل له الحياة وخدمتها هي أساس هذه الحياة، وهدفه في هذه الحياة هو خدمة سيده وتوفير قوت عيشه [1].

إضافة إلى هذا فقد كانت القرية تمثل ركن أساسي من أركان النظام الإقطاعي وهي وحدة لهذا النظام. إذ أن في فترة العصور الوسطى كان الإقطاع يتكون من عدة قرى تمثل هذه القرى العالم الصغير يحكمه سلطان يتمتع بسلطة شبه مطلقة[2]. وكان يعيش في هذه القرية الفئات الأخرى من عبيد والأقنان[3]. وتكونت هذه القرية من قصر السيد المحاطة بمنازل هذه الفئات وكلها كانت داخل أسوار من أجل ضمان الحماية.

وكان امتلاك القرى من طرف مجموعة من الملاك كما كان باستطاعة السيد الواحد أن يحكم مجموعة من القرى[4].

وقد توفرت القرية على كل مستلزمات ومتطلبات الحياة فإلى جانب القصر ومنازل العبيد والأقنان كانت دكاكين والكنيسة مارس بها سكانها مختلف الحرف اللازمة لحياتهم للمجتمع القروي. وقد تواجدت حول بيوت الفلاحين والأقنان الأراضي الزراعية[5].

وقد قسمت هذه في ظل النظام الإقطاعي إلى صنفين. منها الأرض المملوكة وهذه كانت تعود للملك إذ لكن قسم منها حصص للمستأجرين [6]. أما الصنف الآخر فهو الأراضي المشاعة وهي تختلف عن سابقتها فإنها لم تكن مهتمة لأنها كانت ملكا للسيد فقط عكس الأراضي الزراعية[7].

---

(1) عمران، **حضارة أوروبا**، ص67.

(2) العريني، **الحضارة والنظم**، ص56.

(3) كين، المرجع السابق، ص51.

(4) بانتر، المرجع السابق، ص106.

(5) كولتون، المرجع السابق، ص88.

(6) الشيخ، **نظم وحضارة**، ص63.

(7) يوسف جوزيف، المرجع السابق، ص24.

ولقد جعل لهذه الأراضي موظفين زراعيين داخل القرية الإقطاعية الذين يعملون على تنظيم الأرض أهمهم وكيل أعمال السيد وهو من كان يقوم بتنسيق نشاط الفلاحين ورعاية جميع ممتلكات السيد من القرى الإقطاعية [1].

كما توفرت داخل القرى الإقطاعية محاكم خاصة من أجل فض الخلافات الداخلية ومعاقبة كل شخص لم يؤد عمله وكانت تتكون هذه المحكمة من قضاة وأبرشة[2]. وكذا ممثلا عن الفلاحين.

كما أن المجتمع القروي في ظل النظام الإقطاعي قد اعتمد على نظام موحد في زراعته للأرض والتي عرفت أساسا في نظام الحقلين أو ثلاثة حقول [3].

فكان اعتماد نظام الحقلين يعرف بأن تزرع أحد الأراضي في مقابل ذلك تترك الآخر للحرث دون زراعته [4]. أما إذا اعتمد على نظام الثلاثي فيزرع حقلان ويحرث الثالث دون زرعه [5]. رغم ذلك فإن المجتمع القروي في تلك الفترة اعتمد في الأساس على نظام الحقلين. أما النظام الثلاثي فقد استغل فقط في ظروف خاصة [6]. إذ تقسم فيها الأراضي ما يزرع منه في فصل الربيع. وآخر في الخريف ويترك آخر دون زرع، ويحدث التبادل من سنة لأخرى [7].

---

(1) العريني، **حضارة ونظم**، ص58.

(2) **أبرشة:** وهو عنصر وجد في محكمة القرية والتي كانت مهمته حراسة لمنع دخول الحيوان من التسلل لداخل. كما كان عليه أن يسوق أي ماشية شاردة إلى حظيرة القرية.

(3) العريني، **حضارة ونظم**، ص60.

(4) سيرين، المرجع السابق، ص69.

(5) كوبلاند، المرجع السابق، ص29.

(6) كين، المرجع السابق، ص50.

(7) الشيخ، **النظم والحضارة**، ص52.

أما الحقلان اللذان كان يزرعان، فيزرع الأول شعير وشوفان [1] أما الآخر فكان قمحا. وكانت تقسم تلك الأراضي إلى مجموعة من المساحة وكان هذا النظام الأساسي المتبع. وكانت كل قطعة من هذه الأراضي تسلم لكل فلاح وكانت تقسم بشكل متساوي [2].

ولقد كان المالك الإقطاعي الأغنى أكثر استعادة من هذه الأنظمة الإقطاعية. إذ كان يستحوذ على ثلاثة أخماس من منتوج القرية الواحدة والأراضي الخاصة بها.

كذلك من بين الأنظمة التي كانت ضمن أركان النظام الأفضل هو نظام الدومين[3].

وتعني كلمة الدومين السيد المالك وكان لهذه السيد مجموعة من الأسماء كالنيل والبارون[4].

وهذا النظام هو عبارة عن مجموعة أملاك السيد الإقطاعي والذي يعتمد على تقسيم الأرض الزراعية إلى قسمين قسم ينتفع المالك بإحداهما والثاني كان يوزع على الفلاحين مقابل خدمات التي يقدم للملك [5].

وكان أساس العلاقة بين السيد والفلاح تحت اسم الدومين تتمثل أو تترجم في مجموعة الحقوق والواجبات المفروضة على الفلاح اتجاه سيده. وألزمت على الفلاح مجموعة من الضرائب وهي ضريبة العشر التي تقدر بعشر ما تخرجه الأرض [6].

ويتلخص نظام الدومين أن الأرض الزراعية كانت تتقسم إلى قسمين رئيسيين ينتفع المالك بأحدهما ويوزع الثاني حصصا بين الفلاحين مقابل ما يؤديه الفلاح من خدمات للمالك. وكان كل شخص في نظام الدومين يتبعون السيد تبعية تامة. وأصبح السيد في تلك

---

(1) **الشوفان:** هو نبات علفي من الفصيلة النيجيلية.

(2) بانتر، المرجع السابق، ص12.

(3) كوبلاند، المرجع السابق، ص10. 11.

(4) هارتمان وباركلاف، المرجع السابق، ص113.

(5) بيشوب، المرجع السابق، ص127.

وما تم التعارف عليه في مصطلح العصر الوسيط أن كلمة دومين هي أملاك السيد الاقطاعي ومن ذلك التدليل " دومين براتوس" اسقف مدينة لمان، فقد كتب ذلك إلا سقف وصية سنة 618م أورد فيها جميع تحت يده من ممتلكات.

(6) بيشوب، المرجع السابق، ص25.

الفترة حائلا بين الحكومة وأهل الدومين. سواء كانت الحكومة ضعيفة أو قوية مثل ما كانت عليه إمبراطورية شارلمان[1].

ولقد أكدت تلك العلاقة بين السيد والفلاحين أنهم كانوا مناسبين لأضاعهم، وكان هناك اعتقاد أن هناك اختلاف بين السيد والفلاح حتى في الدماء [2].

رغم كل هذا إلا أن طقوس والممارسات الإقطاعية لم تتغير بكامل أوروبا العصور الوسطى. وكانت عملية استئجار الأراضي لها طقوس والتزام بين الطرفين [3]، وكان لسيد الإقطاعي مهام لا تتغير وهي:

1-تأمين الحماية.

2-تنظيم العمل الزراعي.

3- القيام بمهام الدولة الموكلة له[4].

وفي ظل هذا النظام فقد كانت للفلاح واجبات ألزمت عليه والتي تمثلت أساسا في:

أ-**الاحتكارات:** والتي تمثلت فيما يلي:

1-إجبار الفلاحين على استعمال الفرن الذي يملكه السيد المالك مقابل مبلغ من المال متفق عليه [5].

2-احتكار الماء وذلك من خلال بناء أحواض مائية.

3-استعمال الطاحونة الخاص بالملك في طحن الغلة والمحاصيل ولم تكن تلك الاحتكارات تمثل حكرا على الفلاح وإنما كان يجب أن يحدث ذلك. لكن مع تطور الطرق وزيادة في عدد السكان أصبح الاحتكار ثقيلا على الفلاح [6].

---

(1) عمران، **حضارة أوروبا**، ص71.

(2) كوبلاند، المرجع السابق، ص10.

(3) عاشور، **حضارة ونظم**، ص420. 421.

(4) كوبلاند، المرجع السابق، ص8.

(5) الشيخ، **النظم والحضارة**، ص53.

(6) كوبلاند، المرجع السابق، ص32. 33. 34.

إضافة إلى ذلك كانت هناك التزامات أخرى للقن وذلك في حالة وفاة أو زواج او الوراثة. فكان يحصل السيد المالك على أفضل حيوان لدى الفلاح عند موته كي يصرح دفنه [1]. وإن لم يكن يملك الحيوان فإنه يحصل على أفضل ملابسه.

كذلك فرض السيد ضريبة كبيرة على النساء غير الأحرار بممارستهن الفجور والفسق، إذ يعتبرها ملكا له [2]. ومنها.

- أن الضريبة فرضت فقط على النساء غير الأحرار بسبب الملكية.
- وكانت العقوبة التي تفرض هي دفع المال. ولسبب البعد عن تلك الفاحشة.

بالإضافة إلى الحقوق الاقتصادية التي تمتع بها السيد الإقطاعي فقد حصل كذلك على الحق القضائي [3] وذلك لأنه نائبا عن الملك وصارت محكمته تعالج مختلف أنواع القضايا وتوقيع مختلف أصناف العقوبات.

(1) بانتر، المرجع السابق، ص15.

(2) سيرين، المرجع السابق، ص70.

(3) كوبلاند، المرجع السابق، ص35.





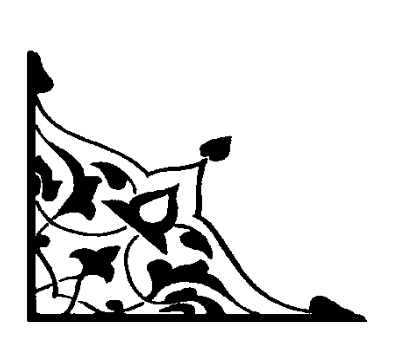
الفصل الثاني

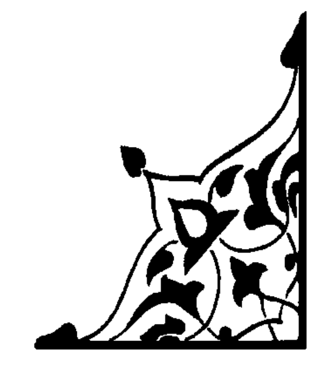
النظام الإقطاعي في المجتمع الأوروبي و بلاد الشام

1- المجتمع الأوروبي في ظل النظام الإقطاعي.

2- الإقطاع الصليبي في الشام.

3- اضمحلال و سقوط النظام.





1- المجتمع الأوروبي في ظل النظام الاقطاعي

طبقات المجتمع:

اتخذ المجتمع الأوروبي نتيجة انتشار النظام الإقطاعي طابعا جديدا قوامه ثلاثة طبقات متباينة كل التباين[1]،إذا ينقسم هذا المجتمع في العصور الوسطى وفي ظل النظام الإقطاعي إلى ثلاث طبقات[2]،فالأول طبقة النبلاء والفرسان والمحاربين أما الثانية فهي طبقة رجال الدين وأخيرا طبقة الفلاحين[3].

وكانت الطبقتان الأولى والثانية تمثلان الهيئة الحاكمة من وجهة النظر الاقتصادي[4]، وكان لكل طبقة من هذه الطبقات وظيفتها المعروفة في المجتمع، فرجال الدين كان عليهم أن يتعبدوا ويشبعوا الناس الروحية، والنبلاء والفرسان كان عليهم أن يحكموا يحاربوا، أما الفلاحون فكان عليهم أن يعملوا في الأرض ليؤمنوا الحاجات المادية للطبقات الأولى[5].

---

(1) عاشور، **حضارة ونظم**، ص406.

(2) يوسف، **المرجع السابق**، ص122.

(3) العريني، **الحضارة والنظم**، ص132.

(4) الشيخ، **النظم والحضارة**، ص140.

(5) كوبلاند، **المرجع السابق**، ص117.

طبقة النبلاء والفرسان:

كانت طبقة النبلاء والفرسان عبارة عن سلم اجتماعي مؤلف من السادة والأتباع[1]، فالسيد الذي حاز على إقطاعا من الأرض يكون تابعا لمالك كبير، وهذا المالك الكبير يكون تابعا لمالك أكبر ربما يكون كونتا[2]، وقد يكون تابعا لمالك أكبر الملك في الدولة[3].

وهكذا يمكن تشبيه طبقة النبلاء والفرسان بهرم يقف الملك في قمته [4]، في حين يقف الفارس المحارب في قاعدته وبين القمة والقاعدة تتابع سلسلة من السادة والأتباع [5].

وقد علا شأن هذه الطبقة في ظل النظام الإقطاعي وذلك لواجبه الدفاعي[6]، والعمل عل توفير الحماية لأبناء المجتمع الأوروبي وقد مثل الفارس العنصر الأساسي في هذه الطبقة وهو الذرع العامي للمجتمع[7]، إذا تدرب أبناء هذه الطبقة على الشؤون العسكرية ومطالبها منذ بداية حياتهم .إذا تمثل تعليمهم في الأخذ بكيفية ركوب الخيل. وإستخدم السلاح من سيوف ورماح وغيرها [8].

وقد كانت عملية إعداد الفارس من أحد أبناء النبلاء تقوم عل مراحل أساسية وفي كل مرحلة يكون له لقبا معينا حتى يصل إل صفة الفروسية[9].

ففي المرحلة الأولى يتم فيها إبعاد الصبي عن أسرته وذلك في عمر حوالي السابعة، ويرسل إلى بلاط سيدا إقطاعي قريب من والد [10]، والهدف من إرسال الصبي إلى هذا البلاط هو أن يكتسب خبرة الحياة الارستقراطية ويتعلم آداب السلوك في مجتمع

---

(1) حاطوم، **المرجع السابق**، ص142.

(2)نعيم فرج، **الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**، منشورات جامعة دمشق، ط1999،2، ص53.52.

(3) كين، **المرجع السابق**، ص65.

(4) كوبلاند، **المرجع السابق**،ص120.

(5) محمود سعيد عمران، **المرجع السابق**، ص77.

(6) إبراهيم أحمد العدوي، **المجتمع الأوروبي**، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ص89.

(7) بانتر، **المرجع السابق**، ص19.

(8) عاشور، **المرجع السابق**، ص143.

(9)أحمد العدوي، **المرجع السابق**، ص23.23.

(10) نعيم فرح، **المرجع السابق**، 54.

النبلاء، وكان يعمل كمراسل بين سادات البلاط ومساعد للفرسان في تطهير خيولهم، وهنا ينال لقب "الوصيف"[1].

أما المرحلة الثانية فهي بين سن الخامسة عشر والعشرين من عمر الصبي [2]، وفيها يرافق الصبي أحد الفرسان في ترحاله فيسهر على خدمته ويهتم بأسلحته، ويتدرب على ركوب الخيل واستخدام السلاح وهنا يرتقي الصبي الى مرحلة مساعد الفارس ويصبح يلقب باسم "حامل الترس" [3].

وفي المرحلة الأخيرة يجهز مساعد الفارس بسيف ورمح ويتدرب على القتال واستخدام السلاح بالرمي على الدمى [4]، كما يشارك مع الفرسان في خوض بعض المعارك، حيث أنه إذا اثبت جدارته يتقرر تنصيبه "فارسا"[5].

وهنا يتم منح مرتبة الفروسية في حفل له طقوس خاصة والذي يسأله إذا كان مستعدا الآن يكون فارسا ويتحلى بكل أخلاقيات الفروسية، وهنا على الشاب أن يرد ويؤكد أنه على استعداد تام للقيام بما يفرضه عليه نظام الفروسية وفق أنظمة الإقطاع من واجبات، وبعد إتمام تلك المراسيم يصبح الفارس مكتملا لشخصيته ولا يربطه أي التزام غير الولاء لطبقته"[6].

(1) كانتور، **المرجع السابق**، ص336.

(2)باركلاف، **المرجع السابق**، ص136.

(3)أحمد العدوي، **المرجع السابق**، ص25.

(4) عاشور، **حضارة ونظم**، ص408.

(5) نعيم فرح، **المرجع السابق**، ص59.

(6)كين، **المرجع السابق**، ص60.

وارتدى الفارس في الميدان ملابس ثقيلة منها الحلل والزرد[1] والخوذة[2]والذرع [3]إضافة إلى الجرموق[4].

إذا أن الملابس اختلفت في أيام السلم عن الملابس التي ارتداها أيام الحرب [5].

كما اختلفت الأسلحة التي استعملت من طرف الفارس[6]، والتي تمثلت فيما يلي:

أ- **السيف:**

طويل صليبي المقبض مربوط بحزام على الجافي الأيسر.

ب- البلطة:

وهي قصيرة المقبض تشبه الفأس الحادة، يعلقها الفارس على جانبه الأيمن أو خلف ظهره.

ج- الرمح:

طولها ثمانية أقدام يمسكها الفارس بيده اليمنى[7].

د- **الفرس:**

إذا كان الفرس مزودا بالسرج والركاب واللجام، فكان في المجتمع الإقطاعي من لا يملك فرس لا يعد فارسا.

---

(1) **الزرد:** هي من الحلل وتتألف من حلقات متداخلة من المعدن لتقي الصدر، شوقي ضيف، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2003، ص384.

(2) **الخوذة:** وهي لباس الرأس، مصنوعة من الحديد ومخروطية الشكل تمتد مقدمتها إلى أسفل لتحمي أنف الفارس، نفسه، ص244.

(3) **الدرع:** هي صدارة تتألف من حلقات متداخلة من الحديد، وتكون مشقوقة طوليا من أسفلها حتى تسهل الفارس على امتطاء فرسه.

(4)**الجرموق:** هي أربطة من القماش أو الجلد تمتد من الركبة إلى القدم.

(5) هلستر، **المرجع السابق**، ص168.

(6)موريس، **المرجع السابق**، ص130.

(7) فرغلي سعيد سيد علي، **بحوث في تاريخ العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 2004،ص67.

ه- الترس:

وهو مستطيل الشكل طوله أربعة أقدام يحمله الفارس في ذراعه اليسرى[1].

وبذلك يتبين أن الخدمة العسكرية كانت تتطلب من الفارس عصر الإقطاع نفقات كبيرة[2]، إذا يجب أن يكون لديه طاقم كامل من السلاح والملابس الحربية الثقيلة والفرس بالإضافة إلى قدر كاف من الطعام للأشخاص والحيوانات[3] أن الفارس إلتزم بأخلاق وسلوك معين سواءا في حروبه أو علاقته مع الناس، وتعرف في مجموعها باسم تقاليد والفروسية[4]، فاشتهر الفارس بجرأته في القتال دون أن يلجأ إلى الخديعة أو الأساليب غير شريفة للتغلب عل خصمه [5]، كذلك من الأخلاق التي تمسك بها الفارس وهي: احترام العهد وحسن معاملة المرأة فضلا عن حبه للشرف والنزاهة [6].

ونظرا الشخصية التي إعتز بها الفرسان، تمتع أولئك بمكانة كبر في المجتمع الإقطاعي [7]، ونتيجة ما نالوه من سلطان عظيم، فإنهم نظروا إلى الملك نفسه عل أنه واحد منهم ليس له من شيئ يميزه سوى مركز الصدارة بينهم، وبعبارة أخرى أصبح الملك على حد تعبير العصور الوسطى:" أول الأقران المتساويين"[8].

وصارت الحصون التي بناها السادة الإقطاعيين مسرحا لجانب عظيم من النشاط الاجتماعي لطبقة الفرسان[9]، وكانت هذه الحصون معاقل يلجأ إليها الناس فرارا من

(1) سيرين، **المرجع السابق**، ص160.

(2)حاطوم، **المرجع السابق**، ص206.

(3)موريس، **المرجع السابق**، ص132.

(4) الشيخ ، **النظم والحضارة**، ص45.

(5)العريني، **حضارة ونظم**، ص47.

(6) بيشوب، **المرجع السابق**، ص131.

(7) يوسف، **المرجع السابق**، ص118.

(8) هارتمان وباركلاف، **المرجع السابق**، ص132.

(9)كولتون، **المرجع السابق**، ص139.

الهجمات المفاجئة التي يشنها الشماليون خاصة[1]، وشيدت تلك الحصون من كتل حجرية ضخمة، لتقف سدا منيعا في وجه الأعداء المهاجمين وأعمالهم التخريبية[2].

واشتمل الطابق الأسفل من الحصن على الآبار ومخازن الطعام والأسلحة بغية الاستعداد لأي حصار طويل أما الطابق الأوسط فأقام فيه السيد الإقطاعي وأسرته، إذا وجدت غرف للاجتماع فسيحة، ودأب الفرسان في عقد اجتماعاتهم مع سيدهم الإقطاعي في تلك الغرفة، من أجل التشاور في أمور الحرب[3].

(1)عمران، **حضارة أروبا**، ص86.

(2) عاشور، **حضارة ونظم**، ص402.

(3)العريني، **الحضارة والنظم**، ص50.

طبقة رجال الدين:

والتي تتمثل في البابا فما دونه من الكرادلة ورؤساء الأساقفة ومن يأتي بعدهم من القسيسي والرهبان [1]، واستقلت هذه الطبقة بشؤونها حيث تولى أمرها الكنيسة، دون أن يكون للسلطات الزمنية نفوذ عليها، سواءا في التشريع أو تصريف أمورها[2]، ثم أن البابا عاش في بلاط أشبه ببلاط الملوك والأباطرة[3].

وأخذت البابوية تنظم سيادتها على سائر قوى المجتمع الأوروبي على أسس إقطاعية، أشبه بما اتبعه رجال الإقطاع من أهل الحكام[4]، قد عمت البابوية التنظيم الكنسي إلى شتى أرجاء البلاد.

ثم أن الباباوات دأبوا عل إرسال بعثات من قبلهم إلى نواحي عديدة، حيث يعتقدون مجامع كنيسة إقليمية ويفصلون في القضايا التي ترفع إليهم، ثم أصبحت الكنيسة أو المؤسسات الخاصة بها تبعث إلى البلاط البابوي بضرائب معينة، مقابل يمتعها بالحماية والإرشاد نحو الذي سار عليه الأتباع لسادتهم الإقطاعيين[5].

واستخدام الباباوات في سبيل تدعين سلطانهم سلاحين روحيين، أولهما توقيع عقوبة الحرمان[6]، أما الثانية فهي عقوبة الحرمان الاجتماعي، إذ ترتب عن هذه الأخيرة إغلاق الكنيسة لأبوابها في الجهات المحرومة، وبالتالي تهديد مصالح الناس المدنية المتعلقة بشؤون الدين، وتعطيل مراسيمها[7].

(1) كولتون، **المرجع السابق**، ص164.
(2)أحمد العدوي، **المرجع السابق**، ص125.
(3) عاشور، **حضارة ونظم**، ص427.
(4)أحمد العدوي، **المرجع السابق**، ص127.
(5)أحمد العدوي، **المرجع السابق**، ص130
(6).عقوبة الحرمان، نظام كنائسي الذي ظهر عصر الاقطاع وتمثل في القطع من رحمة الكنيسة.
(7) موريس، **المرجع السابق**، ص98.

ولم يلبث العالم المسيحي في غرب أوروبا أن أنفسهم، بفضل تنظيم طبقة رجال الدين، إلى أسقفيات واسعة. برأس كل منها شخص يحمل لقب الأسقف، ويشرف على شؤون رجال الدين لأسقفيته[1].

وانقسمت كل أسقفية بدورها إلى أبرشيات حيث قام بها كتائب خاصة خاضعة لقسيس من أصحاب المقدرة على الإدارة والتنظيم [2].

كما أضافت الأحداث والتطورات قوة إلى هذا التنظيم الكنيسة ذلك أن الهبات والعطايا تدفقت على الكنيسة، فضلا عن الأراضي التي أوقفها أصحابها عن الكنائس، وتترتب عن ذلك ازدياد أملاك الكنيسة وصار رجالها يشرفون على اقطاعات شاسعة، أشبه بطبقة الفرسان[3].

كما أن هذه الطبقة تكونت أساسا من فئتين هما:

1- **الفئة الأولى:**

وهي التي تضم رجال الدين الدنيويين [4]، وهم الذين يعيشون في القرى والمدن بين المؤمنين، ويقومون بالصلوات والواجبات الدينية الأخرى في الكنائس[5]، ويأتي على رأس هذه الفئة البابا، ثم يليه الكرادلة والأساقفة، وفي أسفل الدرجات السلم يقف القس الذي يخدم في كنيسة القرية[6].

---

(1) فينو جرادوف، **المرجع السابق،** ص34.

(2)العريني، **المرجع السابق،** ص64.

(3) فينو جرادوف، **المرجع السابق،** ص36.

(4)كونلاند، **المرجع السابق،** ص120.

(5)كولتون، **المرجع السابق،** ص164.

(6)العريني، **المرجع السابق،** ص64.

2- **الفئة الثانية:**

والتي تضم رجال الدين النظاميين (الدريين والرهبان) الذين يتتبعون نظاما معينا في الصلاة والعمل ويعيشون في الاديرة [1].

وتميزت طبقة رجال الدين كذلك بميزة هامة لم يحصل عليها الطبقات الاجتماعية الأخرى، فبينما ظلت طبقة الفرسان لا يمكن لأحد[2]، الانضمام لها من خارجها، تمكن كل فرد يلقى تعليما كنسيا أن يلتحق بطبقة رجال الدين وأن يرقه في سلمها حتى يصل لأعلى الدرجات وكذلك وفق كفاءته وقدرته[3].

(1) بانتر، **المرجع السابق**، ص98.

(2) بيشوب، **المرجع السابق**، ص130.

(3) نعيم فرج، **المرجع السابق**، ص64.

طبقة العاملين:

تشكلت طبقة العاملين القاعدة التي قامت عليها هرم المجتمع الإقطاعي[1]، كما كانت مصدر الرزق الأساسي لذلك المجتمع وهي الطبقة التي اشتملت على هيئتين مختلفتين من الرجال الأحرار من غير الأشراف والذين مارسوا التجارة واحترفوا الصناعة في المدن [2]، ولما كان المجتمع الإقطاعي يقوم أساسا على الأرض فإن أفراد هذه الفئة لم تكن حسنة[3]، وعلى الرغم من تمتعهم بالحرية إلا أنهم ظلوا ضمن أخر طبقة اجتماعية في ظل النظام الإقطاع[4].

أما الفئة الثانية فاشتملت على الملاك الصغار الأحرار الذين اضطروا أمام اضطراب الأحوال أوروبا إلى التنازل عن ممتلكاتها للسادة الأقوياء من طبقة الفرسان وأخذت أحوالهم تتدهور تدريجيا وذلك لارتباطهم بالأرض[5]، وتفرغهم لفلاحيها مقابل تمتعهم بالحماية وعرفت هذه الجماعات برقيق الأرض والأقنان، والذين شكلوا أدنى الطبقات في السلم الإقطاعي، لكن دون أن ينزلوا إلى مستو العبيد[6].

وصار نظام القنية هو القاعدة الأساسية التي ارتكز عليها سلم النظام الإقطاعي خلال العصور الوسطى، ذلك أن تكوين المجتمع في تلك العصور جاء على أساس أنه لكل فرد واجب وهو أداء نوعا من العمل، وأن كل فرد ترتبط حيازته بنوع معين من الخدمة أيضا[7].

---

(1)العريني، **حضارة ونظم**، ص36.
(2)أحمد العدوي، **المرجع السابق**، ص27.
(3) بانتر، **المرجع السابق**.
(4) الشيخ، **النظم والحضارة**، ص51.
(5)كوبلاند، **المرجع السابق**، ص25.
(6) عاشور، **حضارة ونظم**، ص40.
(7)كين، **المرجع السابق**، ص52.

كما أن القن تمنع في ظل النظام الإقطاعي بحق واحد مقابل ما كان يقدمه من واجبات، وذلك الحق أن السيد لا يمكنه أن يقتل القن [1].

وفي نفس الوقت التزم القن بمجموعة من الالتزامات أهمها هي دفع ضريبة سنوية لسيده ذلك رمزا لخضوعه له وذلك وفق ما تقرر من أرضه ونتائجها[2].

كما أن سلطات السيد الإقطاعي في سلم المجتمع الإقطاعي قد امتدت لتشمل كذلك الحياة الشخصية للقن في الزواج إذا أن لا يسمح للقن بالزواج إلا بموافقة السيد ودفع مبلغ معين مقابل ذلك [3].

وبذلك ورغم كل التنظيمات والالتزامات التي نص عليها النظام الإقطاعي عل المجتمع الأوروبي بمختلف طبقاته إلا أنه عاش في ظلها دون أن يتضرر من أعبائها، وذلك من أجل توفير أسباب الطمأنينة للأفراد [4].

---

(1) بانتر، **المرجع السابق**، ص15.

(2)كولتون، **المرجع السابق**، ص80.

(3) يوسف، **المرجع السابق**، ص108.

(4) كوبلاند، **المرجع السابق**، ص17.

2/ الجيش والحرب الإقطاعية.

كان الجيش في ظل النظام الإقطاعي جيشا نظاميا، وكان يتولى قيادته الدوق أو الكونت أو الأمير، وكانت رتبة اللواء ترجع إلى الأسقف، ورتبة النقيب من نصيب الراهب [1].

بينما كان الوكيل مساعدا مباشرا للسيد أو مالك الأرض والفرسان للفروسية، فيما كان المشاة ترجع إلى فئة البسطاء وكان يسير خلف الجيش الإقطاعي آلاف من اللقطاء، وقد كانوا يسيرون بها والتي هرب منها أهلها [2].

أما الأسلحة التي استخدمت في تلك الفترة والتي استعملها المحارب هي أدوات بسيطة من الرمح والسيف أو القوس وبينهم والفارس كان يستخدم السيف فقط [3].

ولقد كان الفرس الوسيلة الأساسية في الحرب، فمن غيره لا يعتبر الفارس فارسا، والذي يكون مزود بالسرج واللجام، إذا كانت الفروسية عمار الحروب الإقطاعية [4].

كما لعبت الحصون والفلاح دور أساسي في الدفاع، إذا كان بإمكان سكان اللجوء إليها في حال الهزيمة لتحصين فيها إذا أنها المأوى الوحيد للجيش في تلك الفترة من العصور الوسطى[5].

كانت تحيط بها أسوار الإقطاعية إذا يستطيع المقاومة عن **طريق الأبراج المنصوبة** منها.[6]

(1)عمران، **حضارة أوروبا**، ص83.

(2)يوسف، **تاريخ العصور**، ص120.

(3) عاشور، **حضارة ونظم**، ص406.

(4)عمران، **حضارة أروبا**، ص83.

(5) يوسف، **تاريخ العصور**، ص121

(6) عمران، **حضارة أوروبا**، 83.

بما أن تلك الحصون كانت مأمن للسكان فرارا من الهجمات خاصة الفاينكج، في ظل النظام الإقطاعي، فإنها تطورت مع تطور النظام الإقطاعية، إذا أصبح الحصن الإقطاعي مقر السيد، وأصبحت بذلك جزءا من النشاط الاجتماعي لطبقة الإقطاعيين[1].

وفي القرن الحادي عشر أصبحت الحصون من النوع المسمى الساحة المسورة [2]، وأصبحت الفلاح التي يملكها السادة الإقطاعيون في أغلبها مبنية من الأخشاب، ولم تكن تزيد عن حجرتين فقط [3].

وكان السيد يستقبل ضيوفه وأتباعه في القاعة، ويعقد فيها معا كما محاكماته، ومكان لتناول الطعام هو أسرته وحاشيته وعادة ما كانت الحجرات مكتظة بأفراد أسرته وضيوفه وكانت تعقد كذلك جلساته في بلاطه الملكي[4].

ولقد كانت الحرب هي الرياضة المفضلة أو أساس الجيش الإقطاعي والفارس، إذ تعتبر الحرب من قوانين العالم الإقطاعي.

إذا كانت المهمة الأساسية لهم هي نصب واغتصاب الأرض والممتلكات وكانت معظم المعارك تقوم على أحقبه الأفراد في إرث مشترك الإقطاعية أو أرض شاسعة أو على خلاف في شروط امتلاك الأرض [5].

ففي المجتمع الإقطاعي الحربي، منح السيد الإقطاعي تابعة الأراضي الزراعية مقابل الخدمة العسكرية والفروسية وكان ذلك استجابة منطقية لمتطلبات الدفاع المحلي [6].

---

(1) عاشور، **حضارة ونظم**، ص406.

(2)الساحة المسورة: هي نوع من الحصون حيث يحفز الفلاحون التابعين للسيد خندقا دائريا يبلغ عمقه بين 9أو 10أقدام وقد يتسع ليبلغ 30قدما، بار، المرجع السابق، ص23.

(3)يوسف، **تاريخ العصور**، ص125.

(4بيشوب، **المرجع السابق**، ص131.

(5) يوسف، **المرجع السابق**، ص131.

(6) عاشور، **حضارة ونظم**، ص406.

وكان المركز الحقيقي لسلطة السيد تتمثل في قلعته حيث كان يمكنه من أن يقاوم جميع القادمين، وكانت طبيعته تقييم حسب عدد الجنود الذين توفرهم، ولم تترك حروب النبلاء والإقطاعيين سوى قدر ضئيل من السلام في أنحاء عديدة من أوروبا بإخلال القرون الأربعة التي أعقبت عام 1000[1].

ونظرا أن الصفة التي كانت غالبة على المجتمع الإقطاعي هي الحرب والقتال، فقد حاولت الكنيسة أن تحد من تلك الحروب وتحويل جهود الفرسان إلى نفعا وفائدة فقامت بحصر نطاق الحرب في المجتمع الإقطاعي خلال القرن الحادي عشر[2]، إذا قررت الكنيسة ما يعرف بهدنة الله[3]، وكذلك السلام الإلهي[4] ،والذي يتحتم فيها تحريم القتال وفرضه على النبلاء والإقطاعيين أن يكونوا جماعات لحفظ السلام، وجعلت أيام معينة لا يجب فيها القتال[5].

---

(1)كين، **المرجع السابق**،ص60.

(2) هارتمان، **المرجع السابق**،ص60.

(3) هدنة الله: وهي امتداد لسلام الرب، عل أن هدنة الرب يغلب على الطابع الكنسي، فالكنيسة هي التي تقررها وتفرض العقوبات على من يخالفها، لذا حتمت الكنيسة على المسيحي أن يعتبر بعض الأيام والازمنة مقدسة، باركر أرنست، الحروب الصليبية، السيد باز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص12.

(4) السلام الالهي: حاولت الكنيسة أن تقيد من الفروسية لصالحها، فأصبحت الحرب لتحقيق أغراض الكنيسة مقبولة (الحرب المقدسة)، وأن ما شهدت الكنائس يعرف باسم السلام الالهي، باركر، المرجع السابق، ص10.

(5)كانتور، **المرجع السابق**، ص336.

3- القضاء في ظل النظام الإقطاعي:

كان القانون الإقطاعي الخاص بالملكيات نظاما في غاية التعقيد، إذا نظم على أسس أساسية وهي:

1-نظام الإقطاع التملك الغير مشروط.

2-حق الانتفاع دون حق التملك.

3-أحقية التنازل عن قطعة الأرض للمستأجر مقابل عوائد مقتطعة [1]

وكان الملك هو الوحيد الذي له الحق في الملكية المطلقة حسب القانون الإقطاعي.

كانت المحاكم الإقطاعية تفصل بين المستأجرين أو المستأجر والسيد أو بين السيد والفلاح، أو السيد وهيئة

المحلفين تشكل من عدة نبلاء، أما إذا كانت الخلاف أكبر كان يرد الامر إلى المجلس الملكي للفصل في القضية [2]

كان القانون الإقطاعي يتيح للسيد ارغام المتخاصمين على الخضوع للمحكمة الإقطاعية لحل النزاع القائم بينهما [3]

وفي ظل المحاكم الإقطاعية كان المدعي أحيانا ما يتعرض للعقوبة التي كانت يجب أن تكون على المدعي عليه، إذا كانت الرشوة منتشرة بشكل كبير في تلك المحاكم الإقطاعية، وأحكام التعذيب شائعة زمن الإقطاع. [4]

ولم تكن قوانين المحاكم الإقطاعية ثابتة وإنما كان هناك خلط للمبادئ مع بعضها، وسرعان ما كانت تعتمد على تعديل المفاهيم الدستورية حسب ماتقتضيه الظروف المحلية. [5]

---

(1)كولتون، **المرجع السابق**، ص95.

(2) بانتر، **المرجع السابق**، ص19.

(3) المرجع نفسه، ص19.

(4). عاشور، **حضارة ونظم**، ص423.

(5) بيرين، **المرجع السابق**، ص67.

ولم تكن جميع الحكومات المحلية ناجحة في تطوير مؤسسات جديدة، لكنها كانت ثابتة بأنفع على مجتمعاتها. [1]

وبذلك لم تكن الحكومة الإقطاعية مرنة ولم تكن تسير عل نهج منظم ولم تكن تحكمها تلك القوانين الثابتة التي تحكم أي مؤسسة حكومية وفي النظام القطاعي كان الحاكم والجلاد يجهلون القوانين السائدة، وقد كانت تتساوى عندهم التقاليد العرفية والقوانين الحكومية فمثلا عندما كانت تثار مسألة حول قضية ما يسأل كبار السن وهم من أتباع السيد عما جرت عليه العادة في اتخاذ إجراءات معينة إذا كان المجتمع في زمن الإقطاع هو مصدر التشريع القوانين.

(1)العريني، **حضارة والنظم**، ص40.

الإقطاع الصليبي في الشام:

منذ وصول الصليب إلى بلاد الشام خلال الحملة الصليبية الأولى" 489-498ه (1096-1099ه) أسسوا إمارات منها:

أنطاكية[1] وبيت المقدس [2]، فبدأت تظهر في تلك الفترة الملامح الأساسية للنظام الإقطاعي الذي كان يسود الغرب.

وقد اتفق الصليبيون عل اختيار جود فري البوبوني[3]، حاكما على القدس عام 1099م، وقد أقام هذا الأخير نظاما إقطاعيا شبيها بما كان سائدا في أوروبا وأصبح بمقتضى ذلك حائزا لجميع الأراضي الخاضعة للسيطرة الصليبية، لكنه لم يحتفظ لنفسه إلا بجزء من الأرض، وأطلق على الاقطاعات في الشام بالمناطق والنواحي المفصولة، وهي عبارة عن مصطلح استفاه أهل القدس والشام والكلمة الفرنسية vussal.

كان الملوك والأمراء يمنحون الإقطاعات والضياع والقرى أبناءهم لكي يضمنوا لهم دخلا، وكان الملك الصلبي هو السيد الاقطاعي الأعلى الذي يقوم بمنح الهبات والإقطاعات لكبار قادة الجيش حتى ولم يكن هناك رابطة من روابط النبالة أو الخضوع،

---

(1) أنطاكية: أول من بناها أنطيسيخه وهو الملك الثالث بعد الإسكندر وحاضر الصلبيين أنطاكية من 1097-1098م، وكان بوهيموند رئيس الجيش الذي حاصر أنطاكية، المقريزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد الله(ت845ه/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، القاهرة1957 –ص344/ إبن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار الفكر، ج8، بيروت1978، ص344.

(2) مملكة بيت المقدس: هي المدينة التي كانت محل الأنبياء وبناها سيدنا داوود عليه السلام، وحاصرها الصليبيين صيف 493ه/1009م، بطرس تيوديود، **تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس:** تر: محمد حسن علية، دار المعرفة الجامعية، 1999، ط1.

(3) جودفري البوبوني: عرف بالدوق السفلي ولد عام 1058 ابن الكونت يستان وكانت امه ذات شخصية بارزة، وكان الدوق اللوني دون أولاد فتبنى ابن أخته جودفري ليكون أبا له وفي حالة وفاته يحول عرش الدوقية وهو أول من مارس من اللاتينية سلطة الحكم على مملكة بيت المقدس، وليم الصورة، **الحروب الصليبية** تر: حبشي الهيئة المصرية العامة، ج1، القاهرة، 1991، ص300. النويري، شهاب الدين –احمد عبد الوهاب. (ت 733ه.1332)،نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج3 ،وزارة الثقافة ،المؤسسة المصرية العامة –القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

بمعنى أن الملك يمنح القادة والفرسان على الرغم أنهم ليسوا من أتباعه[1]، فمثال ذلك منح الأمير جودفري البوبوني إحدى وعشرين قرية في حدود القدس إلى الكنيسة القيامة بينما طالبه من الملاك بالتنازل ولم يحتفظ جودفري لنفسه إلا بمدنيين رغم أنه يملك يمنع جميع الأراضي في العرف الاقطاعي، إذ يقوم بتوزيع معظمها على كبار الأمراء والفرسان[2]

ولقد بدأت ملامح النظام الاقطاعي الصليبي تظهر في عهد الملك بلدوين الأول[3]، إذ تشكلت حدود المملكة الصليبية، بعد سيطرة الصليبي على مزيد من الأراضي وأصبحت للأرض والعلاقات الشخصية محددة وواضحة بطريقة أفضل وأصبح تكامل الأنظمة الصليبية واضحا وأكثر تبلور في جميع المجالات، زمن الملك بلدوين الثاني[4]، إذا أصبحت الحكومة قوية، واكتملت الأنظمة الإدارية بصورة واضحة[5]، كما أحكمت الحكومة الصليبية قبضتها على جميع الأنظمة الاقطاعية.

ولقد كان هناك إختلاف أساسي بين السيد الاقطاعي الغربي والاقطاعي الشرقي، فالأول كانت الإدارة خلاصة بميدانه تأتمر بأوامره، لكن بالنسبة لسيد الاقطاع الشرقي فكانت من اختصاص القاضي، كما كان يمكن لسيد الاقطاعي الجديد أن يقتطع جزءا من أملاكه الاقطاعية لأحد أفصاله مقابل تأديته الخدمة العسكرية [6]

---

(1) وليم الصوري، **المرجع السابق**، ص310.

(2) زكي النقاش، **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والغرب خلال الحروب الصليبية**، دار الكتاب اللبنانيين، لبنان،1946، ص120.

(3) بلدوين الأول: كان رجلا عملاقا، خبير أن استخدم السلاح، بارعا في ركوب الخيل، كما كان ناجحا في حكم إمارة الرها، تولى حكم مملكة المقدس الصليبية بعد وفاة أخيه جودفري عام 1100م، توفي عام1118م.وليم الصوري، **مرجع سابق**، ص370.

(4) بلدوين الثاني: هو بلدوين دي جورج، ثاني ملوك بيت المقدس عرف باسم ألبويوس، وهو ابن الكونت ديشل، تمتع بشخصية بارزة، حكم إمارة الرها أكثر من ثمانية عشر عاما، تبوء حكم المملكة عام1118م، إلى أن توفي عام 1131م.

(5) حاتم عبد الرحمان الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في الشام عين للدراسات والبحوث، القاهرة. **المصدر نفسه**، ص333.

(6)حاتم عبد الرحمان الطحاوي، **المرجع السابق**، ص30.

وكان للنظام الاقطاعي الصليبي مكانة تبادل اقطاع السيد الاقطاعي باقطاع أحد افصال مثل ما حدث بين بلدوين الثالث[1]، "1143م-1152م"، حيث حصل الملك على إقطاع نابلس مقابل التنازل عن إقطاع الكرك[2]

ولقد كانت نظم الإقطاعي الصليبي يختلف من منطقة إلى أخرى، وذلك باختلاف حكمها، فمثلا أنطاكية التي كانت ذات سمات نورمانية حيث كانت سلطة الأمير تنتقل بالوراثة [3]

ومع توسع وتثبت النظام الإقطاعي في بلاد الشام ظهرت أو شكلت أنواع من الاقطاعات الصليبية [4]

والتي انقسمت إلى صنفين أساسيين هما:

الاقطاعات العينية fies vulains، واقطاعات نقدية"fies besens".

1- **الاقطاعات العينية:**

والتي اشتملت على الأراضي التي وقعت تحت سيطرة الصليبية حديثا، وما يؤديه الرجال من خدمة مقابل ما يتقاضوه من أجر من السيد اقطاعي من غلة الأراضي الاقطاعية أو من دخل الإقطاع النقدي [5]

2- **الاقطاعات النقدية:**

وهي عبارة عن حق تحميل إيجارات أي أملاك في مدينة أي إجمالي دخل المدينة أو الاحتكار الملكي لها [6]، وهناك ما يشير إلى أن الاقطاعات النقدية هي عبارة عن خراج

(1) بلدوين الثالث: رابع الملوك لبيت المقدس اللاتينيين، وهو ابن الملك فوليك الأنجوي، كان عمره ثلاث عشر عند وفاة والده، انتزع عرش والده بقوة عام1152م، كانت له مهارة عسكرية إلى جانب ذكائه حكم لمدة عشرين عاما، توفي عام1163م.

(2) ركب النقاش، **المرجع السابق**، ص134.

(3) محمود عمران سعيد، **تاريخ الحروب الصليبية**، ص206.

(4) مصطفى وهبة، **موجز تاريخ الحروب الصليبية**، مكتبة الايمان، 1418ه/1997.ص10-11.

(5) محمد سهيل طقوس، **تاريخ الحروب الصليبية**، حروب الفرنجية في المشرق، دار النقاش، لبنان، 2001،ص39.

(6) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في المشرق، تر: الياس شاهين، دار التقدم، 1986.

نقدي ثابت من المدن والقرى مقابل تقديم الفرسان والجنود عندما يحتاجهم الملك[1]، وهو نفسه ما يعرف بالإسلام باقطاع الاستغلال.

وأن الاقطاعات النقدية تتساوى مع الاقطاعات العينية فيما يقدمه حائز الإقطاع للسيد الإقطاعي من خدمة وولاء[2]، وكان يمكن توارث الاقطاعات النقدية، ولم يكن الملك أن يموت حائز الإقطاع دون أن يكون له وريث أو لم يترك سوى إبنته يستطيع أن يختار لها زوجا من أتباعه[3]

(1) وليم الصوري، **المصدر السابق**، ص310.

(2) الطحاوي، **المرجع السابق** ،ص36.

(3) محمد سهيل، **المرجع السابق**،ص42.

3- أسباب اضمحلال النظام الإقطاعي:

لقد اتحدت مجموعة من العوامل في إضعاف سلطة أمراء الاقطاعات وتغيير لنظام الإقطاع على رغم من الفوائد التي كانت لهذا النظام[1]

ومن بين هذه الأسباب يمكن شرحها فيما يلي:

أ- كرد الملوك لهذا النظام:

فقد أضعف نظام الإقطاع سلطة الملوك إذا كانت الاقطاعات أشبه بحكومات صغيرة مستقلة داخل الدولة مما فكك وحدة الدول، فعمل الملوك على تقوية نفوذهم بمحاربة الأشراف وإضعافهم بكل الوسائل لاسيما أن الأشراف كثيرا ما كانوا يخشون عن يمينهم ويتتعون عن تقديم الخدمات للملك، ولم يكن للملك جيش دائم سوى فرسان اقتطاعيته الخاصة، بل كان اعتماده على ما يقدمه لأمراء الاقطاعات من المؤذن[2]

ب- التنافس بين الأشراف:

ومما ساعد على إضعاف هذا النظام تشاحم الأمراء ومنافسة بعضهم بعضا، فكان كل شريف يطمع في أرض جاره ليزداد نفوذا وثروة، كما كان كثيرا من الأتباع يخرجون عن طاعة أسيادهم ويحثون في يمينهم، وكان من إثر ذلك أن ضاعت حقوق الفلاحين والتجار، تلك الحقوق التي لم ينشأ النظام الاقطاعي إلا للمحافظة عليها، فذهبت تلك المتاجر والمزارع والكنائس بسبب تلك الحروب المستمرة والفوضى الشاملة.[3]

وقد حاولت الكنيسة تخفيف هذه المنازعات، فاستعملت نفوذها في حمل المنافسين على الكف عن القتال في أيام معلومة من مساء الأربعاء إلى صباح العيد، ثم في الأعياد الدينية، وقد عرفت هذه بهدنة الله.[4]

---

(1) نعيم فرج، **المرجع السابق**، ص80.

(2) عاشور، **حضارة ونظم**، ص310.

(3) الشيخ ، **النظم والحضارة**، ص155.

(4) كين موريس، **المرجع السابق**،ص97.

كما قررت غرامات على من يخرب الكنائس وينهب المتاجر وأصدرت قرار حرمان من رحمة الكنيسة ضد من يرتكب هذه الجرائم.[1]

ولما لم تأت هذه الإجراءات بالثمرة المطلوبة، كونت الكنيسة قوات مسلحة لتنفيذ أوامرها، فتألقت جماعات أطلق عليها "دعاة الإسلام"، يبدأ أن كل هذه الجهود لم تضع حدا لهذه الفوضى، فسخط الأهالي على الأشراف وساعد والملوك على القضاء على سلطتهم.[2]

د-**الحروب الصليبية:**

ومما ساعد على إضعاف سلطة الأشراف قيام الحروب الصليبية، فقد مات في هذه الحروب الكثير من الأشراف على سلطتهم.[3]

هـ- ظهور المدن الحرة:

نشأ نظام الإقطاع على أساس ملكية الأرض فكان أهل المدن من الصناع والتجار يقيمون حيث شاءوا، وقد نمت المدن بسرعة في الفترتين الحادي عشر والثاني عشر، ونالت امتيازات كثيرة من الأشراف حتى أصبحت أشبه بجمهوريات مستقلة فقرب الملوك إليهم الطبقة الوسطى من أهل المدن وعيونهم في المناصب العالية، فكانوا عونالهم ضد الأشراف[4].

و- اختراع البارود:

وكان اختراع البارود في القرن الثالث عشر ضربة قاضية على نظام الإقطاع، فقد كان الفرسان هم الطبقة الحربية المنظمة التي تعتمد عليها الأشراف، ولم يسمح لعامة

([1]) يوسف جوزيف، **تاريخ العصور**،ص222.

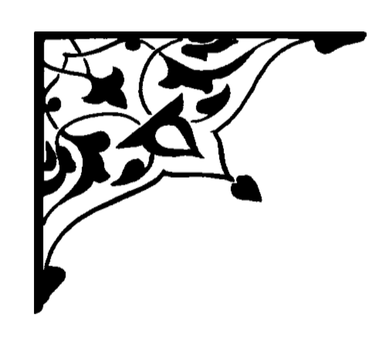
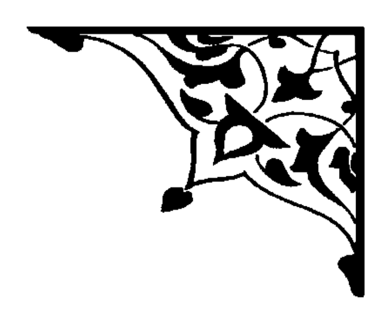
([2]) فيشر، **المرجع السابق**، ص190.

([3]) كوبلاند، **المرجع السابق**،ص120.

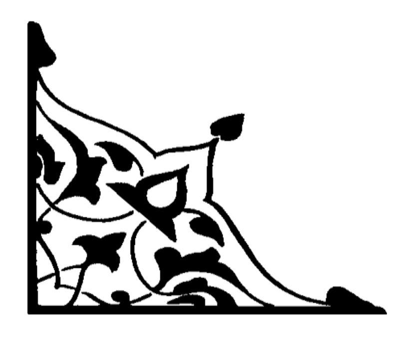
([4]) فينو جرادوف، **المرجع السابق**،ص66.

الشعب بالاندماج في سلكهم، فلما اخترع البارود استطاع الملوك أن يجندوا من العامة، ولم تجد حصون الأشراف ولا دروع الفرسان نفعا أمام قوة البارود.[1]

([1]) **المرجع نفسه**،ص70.

خاتمة




ورغم كل ما عايشه النظام الإقطاعي من فوائد، إلا أنه كان عقبة كأداء في سبيل توحيد الدول وفي وجود حكومات قومية، فقد تجزأت الدولة الواحدة الى عدة حكومات تكاد كون كل منها مستقلة عن الحكومة المركزية، فمثلا فرنسا تجزأت حوالي مائة وخمسين إقطاعية كبيرة وانقسمت تلك الاقطاعات الى قطاعات صغيرة.

ورغم اعتراف أمراء الإقطاع سيادة الملك فإن أغنى و أقوى من الملك. إذ كان يمتلك اقطاعات أوسع من أملاكه، لكن رغم كل هذا إلا أنه لا يمكن انكار مدى التغيرات التي شهدتها المجتمعات خلال النظام الاقطاعي وهذا ما توصلت اليه من نتائج لعلّ أهمها:

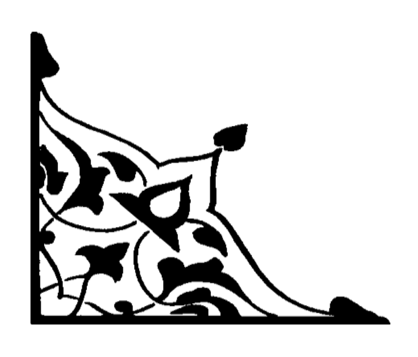
- أن النظام الاقطاعي هو نظام شامل لكامل النواحي الاقتصادية و السياسية و حتى البينية.
- الولاء الشخصي و التبعية اساس هذا النظام وعصب النظام الاجتماعي الاقطاعي، كما كانت العلاقة بين الأفراد هي الأداة لإقرار الالتزامات السياسية.

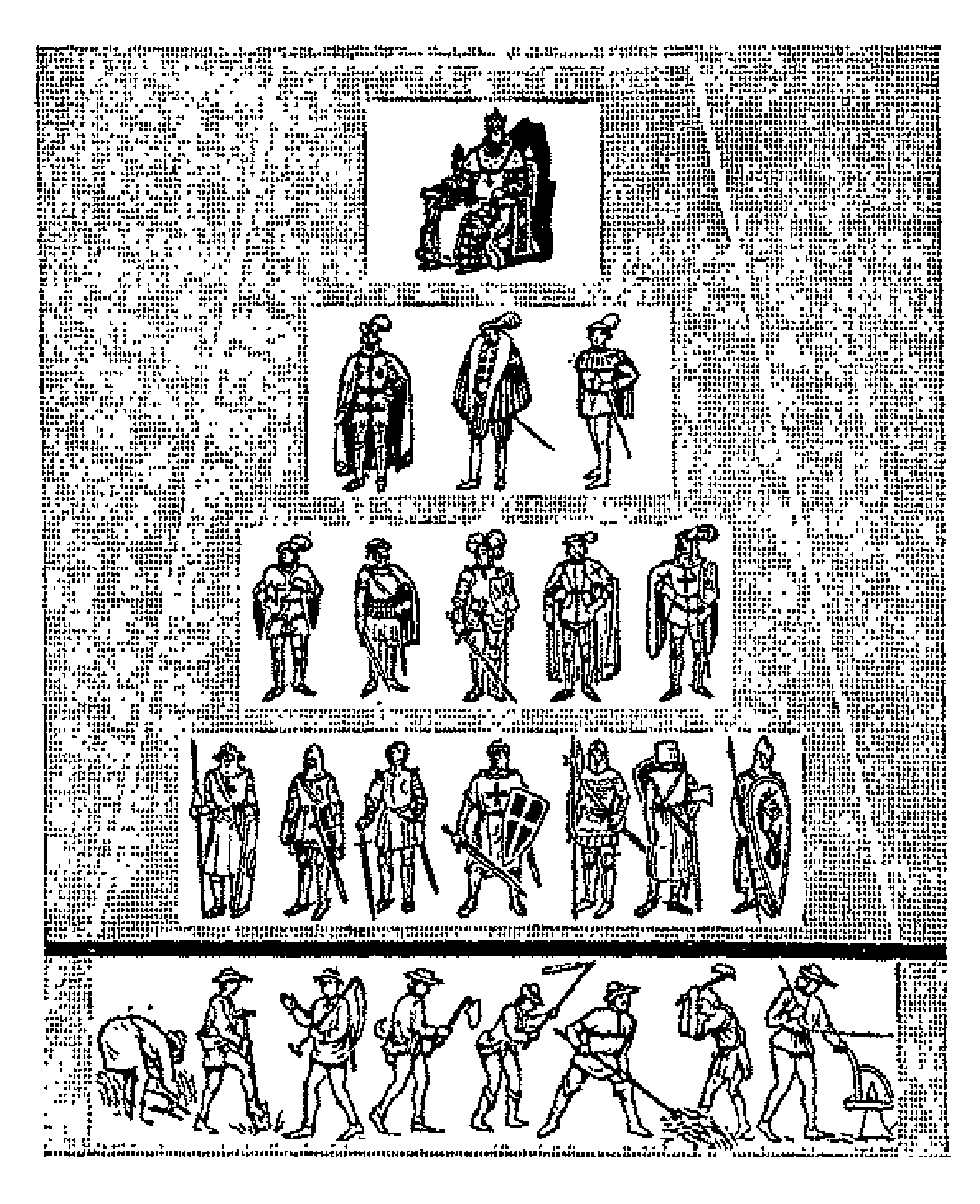
لامركزية القضاء وهذا ما أتاح حقوقا للسادة الاقطاعيين على حساب سلطة الملك.

- القرية كانت تمثل العالم الصغير للنظام الاقطاعي وهي الركن الاساسي.
- وجود نظام تصاعدي أو ما يمثل هرم النظام الاقطاعي والذي يبدا من القاعدة التي هي اساس هذا النظام و التي شكل فيها البسيط المحرك الاساسي للإقطاع.
- تكون المجتمع الأوروبي من ثلاثة طبقات: طبقة النبلاء وهي الطبقة الحاكمة، طبقة رجال الدين وهي الطبقة المسيطرة وصولا الى طبقة الفلاحين الذين لا حول ولا قوة يحاولون البحث عن حياة أفضل و عملوا على خدمة السيد والأرض.
- مثل القرن الحادي عشر الميلادي العصر الذهني للنظام الاقطاعي.
- توقيع التزامات بين السيد الحاكم والعاملين وهذا كان ضمن اجراءات النظام الاقطاعي.
- تأثر بلاد الشام بالنظام الاقطاعي و هذا بفضل الحروب الصليبية.



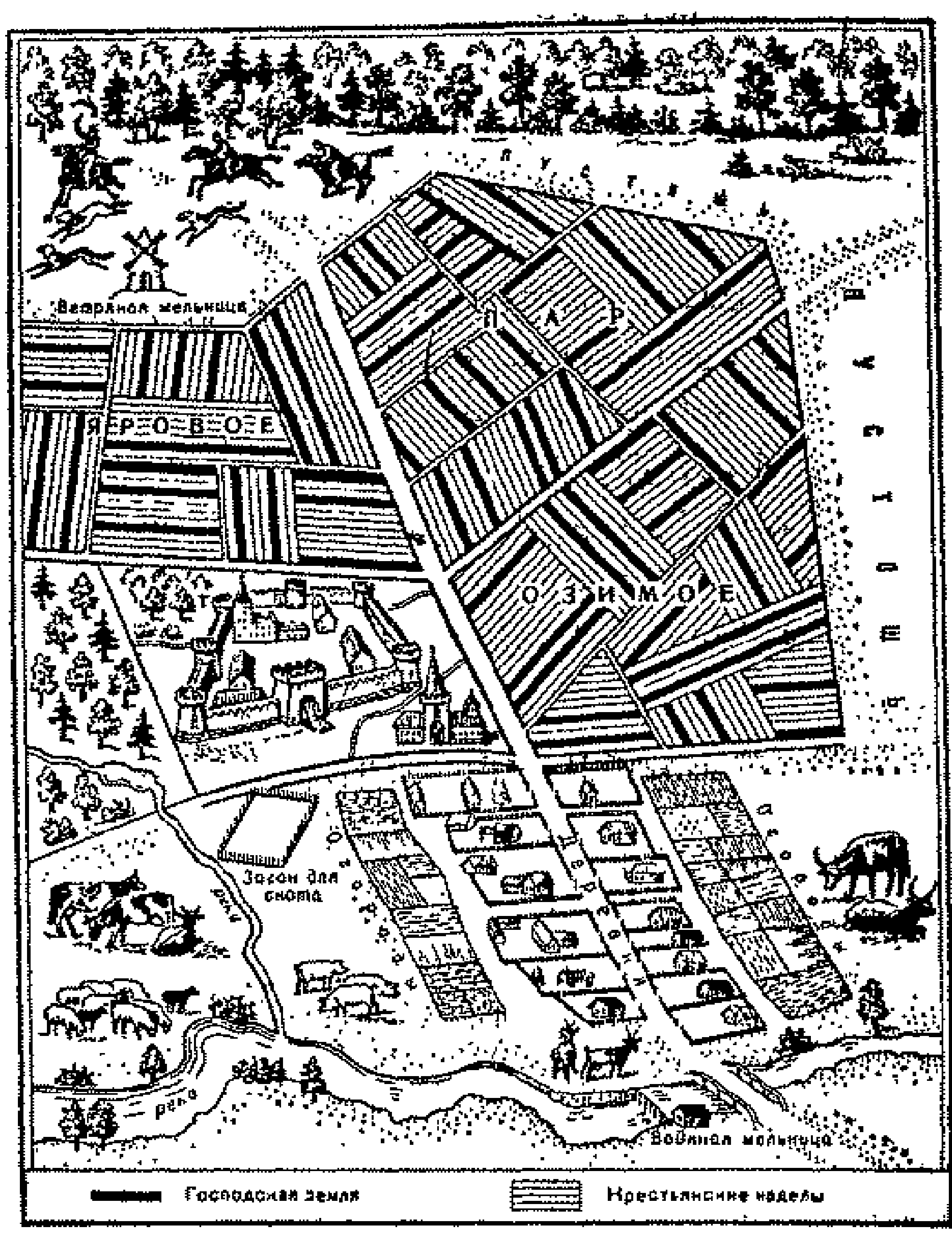

الملاحق



السلم الاقطاعي

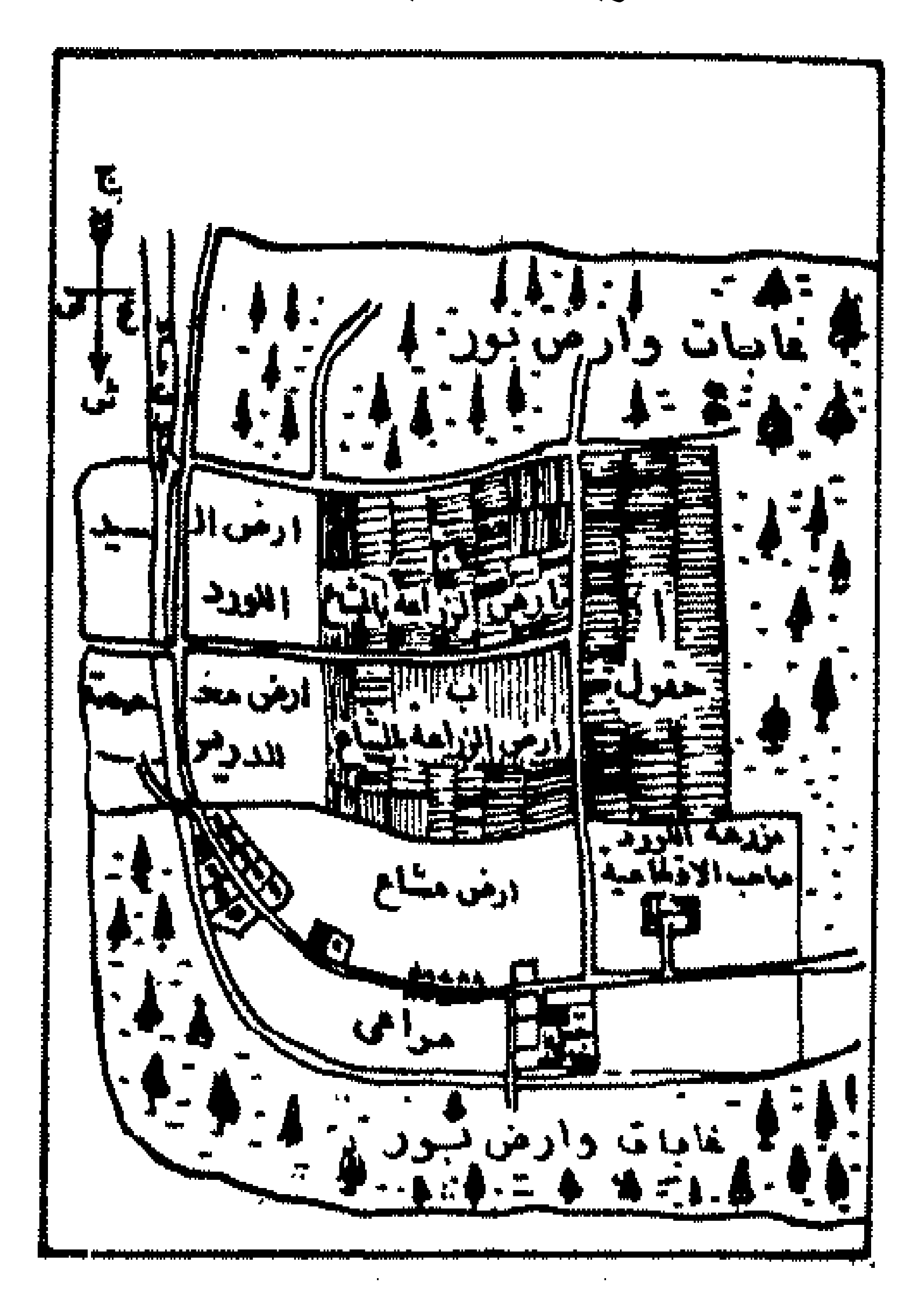
نعيم فرح.المرجع السابق.ص67



أراضي الفلاحين الاقنان　　　　أراضي السيد الاقطاعي

احمد العدوي.المرجع السابق.ص55

القـريـة الاقـطا عيـة



رسم تـخطيـطي يـوضح تـنـسيـقـيـة
الأرض الاقـطا عيـة

نعيم فرح. المرجع السابق.ص59

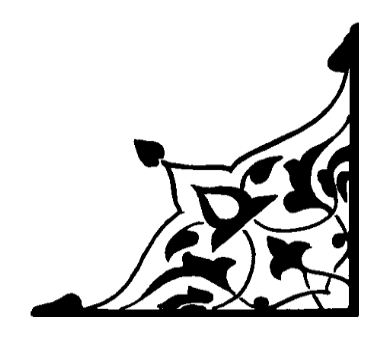


كوخ الفلاح القن

كانتور. المرجع السابق.ص95




قائمة المراجع

-المصادر:

1- ابن الاثير: أبو الحسن علي بن أبي الكريم محمود بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، 360ه الكامل في التاريخ. دار الفكر، بيروت.1978.

2-بطرس توديبود، **تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس:** تر: محمد حسن علية، دار المعرفة الجامعية، 1999، ط1.

3- ابن الجوزي أبو فرح عبد الرحمان (547ه/1201م)المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم. تر: محمــد عبد القادر مصطفى عبد القادر دار الكتب العلمية، ج18، لبنان، 1992.

4-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد الله(ت845ه/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1957.

5-القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 ه/ 1283م). **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار الصادر، (د .ط)، لبنان، (د. ت).

6-وليم الصوري، **الحروب الصليبية** تر: حبشي الهيئة المصرية العامة، ج1، القاهرة، 1991.

7-ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط14، دار الصادر، بيروت، 1977.

المراجع العربية والمعربة:

1-البلعكي منير، معجم أعلام المورد، موسوعة تراجم أشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.

2- إبراهيم أحمد العدوي، **المجتمع الأوروبي**، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1958م.

3-محمد محمد مرسي الشيخ، **النظم و الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى**، الشهابي للطباعة و النشر، القاهرة، 1998

4-______________، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.

5- حمد صادق الطنطاوي، **تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب**، دار الطباعة الأهلية، ط2، القاهرة، 1998.

6- السيد باز العريني، الحضارة و النظم الأوروبية في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1967،

7- ______________، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1968،

8- باركر أرنست، الحروب الصليبية، السيد باز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، 1967،

9- بانتر سيدني، **أوروبا الغربية عشية الحروب الصليبية. تاريخ الحروب الصليبية**، تر: سعيد عبد المحسن، منشورات بيت المقدس، رام الله، ج1، 2004.

10- هنري بيرين، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، تر: عطية قوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.

11-بيشوب موريس، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** ، تر: علي السيد علي المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005 م.

12-حاطوم نور الدين، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ،ج1،دار الفكر العربي، دمشق، 1958.

13- حبشي حسن، الحروب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، دمشق، 1958م.

14- حاتم عبد الرحمان الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في الشام عين للدراسات والبحوث الانسانية و الاجتماعية، ط1.دت.

15- محمود صالح عطية، **تاريخ الفكر الاقتصادي في العصور الوسطى**، كلية الإدارة و الاقتصاد، القاهرة، 2010.

16- محمد سهيل طقوس، **تاريخ الحروب الصليبية**، حروب الفردية في الفزنجة المشرق، دار النقاش، ط1، لبنان، 2001.

17- مصطفى وهبة، **موجز تاريخ الحروب الصليبية**، مكتبة الايمان، 1418ه/1997.

18- ميخائيل زابوروف، الصليبيون في المشرق، تر: الياس شاهين، دار التقدم، موسكوا، 1986.

19-عاشور سعيد عبد الفتاح، حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، ق1، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.

20-_____________، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1995م،

21- _____________، أوروبا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1996.

22- محمود عمران سعيد، **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة، بيروت، 1991.

23- _____________، معالم تاريخ العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، ط1، 1998م.

24-_____________، تاريخ الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، بيروت.(د.ت)

25- عبد القادر أحمد اليوسف، **العصور الوسطى الأوروبية**، المكتبة المصرية، القاهرة، 1967م.

26- جونتان ريلي سميث، **الحملة الصليبية الأولى و فكرة الحروب الصليبية**، تر: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1999م.

27- نعيم فرج، **الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**، منشورات جامعة دمشق، ط1999،2، دمشق، 1999م.

28- نورمان كانتور، **التاريخ الوسيط قصة حضارة بداية ونهاية**، تر:قاسم عبدة قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997

29- كوبلاند، **الاقطاع و العصور الوسطى بغرب أوروبا**، تر: محمـــد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1977،

30- كوبلاند، **الاقطاع و العصور الوسطى بغرب أوروبا**، تر: محمـــد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1983م.

31- كين موريس، **حضارة أوروبا بالعصور الوسطى**، تر: قاسم عبده قاسم، عينة للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، ط1، القاهرة، 1994،

32- فرغلي سعيد سيد علي، **بحوث في تاريخ العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 2004.

33- فيشر، **تاريخ أوروبا العصور الوسطى**، تر: محمد زيادة والسيد الباز العريني، دار المعرفة، ط6، القاهرة، 1950.

34-فير جرادوف، **النظام الإقطاعي**، تر: محمد زيادة، دار المعرفة، القاهرة،

35-هارتمان و باركلاف، الدول و الامبراطورية في العصور الوسطى، تر: جوزيف نسيم، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1984،

36-هلستر، **أوروبا العصور الوسطى**، تر: محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988،

37- قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 1993،

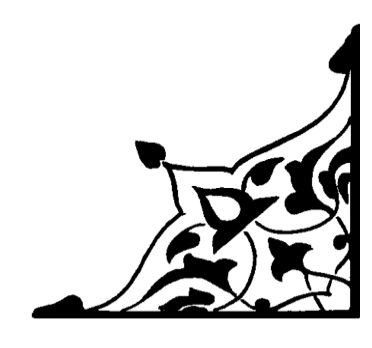
38- زكي النقاش، **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والغرب خلال الحروب الصليبية**، دار الكتاب اللبنانيين، لبنان،1946.

39- الزركلي خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الدمشقي (ت 1396) الإعلام. دار العلم للملايين، ط15، بيروت، ج8، 2002.

40- يوسف جوزيف نسيم، **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984،




الفهرس

الفهرس